فقر المشاعر

الحلقة الأولى

إعداد/ د. محمد إبراهيم الحمد

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، أما بعدُ:

فهذه كلمات حول ظاهرة تحتاج إلى بسط، وإلقاء ضوء، وعلاج، تلكم هي ظاهرة: «فقر المشاعر».

هذه الظاهرة التي عمت، وكثرت الشكوى منها، وصارت من ضمن ما يبحث فيه المصلحون، ويسعون إلى علاجه.

فهذا ما استثار الهمة، وأخذ برأس القلم يجره إلى الكتابة في هذا الموضوع.

والحديث عنها سيبدأ بتوطئة ومدخل، ثم يتناول الحديث مظاهر هذه الظاهرة، ثم يكون الحديث عن الأسباب التي ترتقي بالمشاعر، وتنهض بها.

توطئة ومدخل:

الإنسان مركَّب من جسد وروح ومشاعر، فليس جمادًا أصم، وليست حاجته قاصرة على الطعام والشراب فحسب، بل هو محتاج مع ذلك إلى غذاء عقله، وروحه، ومشاعره، وتفصيل ذلك يطول، وليس هذا مجال بسطه.

وحسب الحديث هاهنا أن يدور حول المشاعر، وحاجة الإنسان إليها، فالذي يلاحظ في حياتنا اليومية أننا نعاني من فقر المشاعر الإنسانية الصادقة المعتدلة؛ فتجد من الناس من هو جاف لا تكاد تحظى منه بكلمة شكر، أو ابتسامة محب، أو دعوة مخلص.

ومنهم من هو متملق محتال يزجي المديح بلا كيل لمن يستحق ولمن لا يستحق؛ إما رغبة أو رهبة أو لأجلهما جميعًا؛ فإذا انقضت مصلحته قَلَبَ ظهرَ المِجَنِّ، وعرَّى أفراسَ الصبا ورواحلَه.

أما من يقابل الناس بالبشر، ويصافحهم براحة كريمة، ويثني عليهم إذا هم أجادوا، ويردهم إلى الصواب برفق إذا هم أخطأوا، ويسدي إليهم المعروف إذا هم احتاجوا دون أن يكون خائفًا منهم أو راجيًا لهم- فذلك قليل في الناس، غريب بينهم.

ومن كان كذلك أحدقت إليه الضمائر الحرة، وأولته ودًّا وانعطافًا؛ وأساغت عشرته، وأصاخت السمع لما يقوله.

ولكن هذا الصنف- مع الأسف- قليل؛ لأن المصالح الخاصة قد طغت، فصارت المعاملة إلى النفعية أقرب منها إلى المروءة والإنسانية.

ولا ريب أننا بحاجة ماسة إلى كمية كبيرة من المشاعر الصادقة؛ حتى نحفظ الود فيما بيننا، ونبعد عن شبح الأوهام التي تعترينا، ولأجل أن تكون حياتنا مليئة بالمسرات، بعيدة عن المكدرات والمنغصات.

وإن المتأمل في حياتنا ليرى عجبًا؛ فلغة المشاعر التي تضفي علينا الدفء في قَرِّ الشتاء، وتهب علينا بالنسيم العليل في حر الهجير- تكاد تنقرض عند فئام الناس في هذه الأزمان.

كيف يكون ذلك؛ ونحن نتفيأ ظلال دين عظيم يرعى هذا الجانب حق رعايته، ويحذِّر من أن تتضاءل تلك العواطف النبيلة، فيضيع بسبب ذلك من حقائق الشريعة، وعزة أهلها ما يضيع؟!

ومن هنا جاء الإسلام بما يربي تلك المعاني، ويحييها في النفوس؛ فنصوص الوحيين- التي لم تغادر صغيرة ولا كبيرة إلا وأحاطت بها إجمالاً أو تفصيلاً- مليئة بتقرير تلك المعاني السامية التي تنهض بالمشاعر، وتقضي على روح الأثرة والقسوة، والغلظة.

فلو أجلت فكرك في حِكَم الصلاة، والزكاة، والصيام، والحج- وهي أعظم دعائم الإسلام بعد الشهادتين- لوجدت أن من أعظم حكم تشريعها مراعاة المشاعر، وقيام روح الألفة والمودة بين المسلمين.

ولو ألقيت نظرة فيما يقرره الشارع من أوامرَ ونواهٍ وما جرى مجرى ذلك لرأيت ذلك رأي العين.

ألا ترى أن الشارع يقرر ألا ننسى الفضل بيننا، وأن أحدنا لا يؤمن حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه، وأن المسلم أخو المسلم لا يظلمه، ولا يخذله، ولا يسلمه، ولا يحقره؟

أليس الشارع يأمرنا بستر عورات المسلمين، والسعي في قضاء الحوائج، وتنفيس الكربات، وعيادة المرضى، وتشييع الجنائز؟

أليس يأمر بإفشاء السلام، والرحمة بالخلق، والعطف عليهم، وحسن رعايتهم، ومداراتهم، والصبر على أذاهم.

أليس يأمر ببر الوالدين، وصلة الأرحام، وإكرام الجار، والوفاء للأصحاب، وحسن المعاملة للزوج والأولاد.

أليس يأمر بالأمانة وإنجاز الوعد، وحسن الظن، إلى ذلك من الأوامر التي ليس بعدها أمل لآمل، ولا زيادة لمستزيد.

وفي مقابل ذلك، فهو ينهى عن أمور كثيرة من شأنها أن توهي حبال المودة بين المسلمين، أو تنقض عراها؛ فتراه ينهى عن العقوق، والقطيعة، وأذية الجار، والكبر، والحسد، والغل، والحقد، والبخل، والفظاظة، والوقاحة، والعناد، والغيبة، والنميمة، والسب، واللعن، وإفشاء السر، والسخرية بالناس، والتعبير بالعبارات المستقبحة، والتخاطب بالألقاب السيئة.

وينهى كذلك عن كثرة الجدال والخصومة، وعن المزاح البذيء، وعن الكلام فيما لا يغني، وعن الخيانة، والمكر، وإخلاف الوعد، والتحسس والتجسس، وتتبع العورات، والتهاجر، والتشاحن، والتدابر، وما إلى ذلك.

وتفصيلُ ما مضى، وذكرُ أدلته يحتاج إلى مجلدات ضخام، والمقام لا يسمح بذلك.

ومع ذلك كله فإن الناظر في أحوال إخوانه المسلمين يعتريه الأسى واللوعة؛ لما حل بهم من الشنآن، والقطيعة، والتهاجر، وجفاف المشاعر، وجفاء الطباع.

وهذا الأمر يشيع بين المسلمين، ويأخذ صورًا شتى، وفيما يلي تفصيل لبعض المظاهر، وذلك على النحو التالي:

أولاً: فقر المشاعر بين الوالدين والأولاد.

ثانيًا: فقر المشاعر في الحياة الزوجية.

ثالثًا: فقر المشاعر بين الزوجة ووالدي زوجها.

رابعًا: فقر المشاعر بين الجيران.

خامسًا: فقر المشاعر بين الطلاب والمعلمين.

سادسًا: مظاهر أخرى لفقر المشاعر.

وإلى ذلك التفصيل في العدد القادم إن شاء الله تعالى.

فقر المشاعر بين الوالدين والأولاد

الحلقة الثانية

إعداد/ د. محمد إبراهيم الحمد

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، أما بعدُ:

فحديثنا في هذا العدد عن فقر المشاعر بين الوالدين والأولاد، فتجد من الأولاد من لا يرعى حق والديه، لا يراعي مشاعرهما؛ فتراه لا يأنف من إبكائهما، وتحزينهما، ونهرهما، والتأفف والتضجر من أوامرهما، والعبوس وتقطيب الجبين أمامهما؛ فمن الناس من تجده في المجالس هاشًا باشًا حسن المعشر لين العريكة؛ فإذا دخل المنزل، وجلس إلى والديه انقلب ليثًا هصورًا لا يلوي على شيء؛ حيث تتبدل حاله، فتذهب وداعته، وتحل غلظته وفظاظته.

ومن الأولاد من لا ينظر إلى والديه إلا شزرًا، قال معاوية بن إسحاق عن عروة بن الزبير- رحمهم الله ورضي عنهم-: «ما برَّ والده من شدَّ الطرف إليه». (سير أعلام النبلاء ٤/٤٣٣).

ومن قلة المراعاة لمشاعر الوالدين: قلة الاعتداد برأيهما، والإشاحة بالوجه عنهما إذا تحدثا، وإثارة المشكلات أمامهما، وذمهما عند الناس، والقدح فيهما، والتبرؤ منهما، والحياء من الانتساب إليهما.

كل ذلك داخل في العقوق وقلة الرعاية لمشاعر الوالدين، وكأن هؤلاء لم يقرؤوا قوله تعالى: «وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا» (الإسراء: ٢٣- ٢٤).

ولم يسمعوا قول النبي صلى الله عليه وسلم: «الكبائر الإشراك بالله، وعقوق الوالدين، وقتل النفس، واليمين الغموس». (رواه البخاري: ٦٦٧٥).

فحري بالولد أن يسعى سعيه في بر والديه؛ فيحسن إليهما، ويخفض الجناح لهما، ويصغي إلى حديثهما، ويتودد لهما بكل ما يستطيع من بر وصلة، ويتجنب كل ما يفضي إلى العقوق والتكدير.

وليكن له في سلفنا الصالح قدوةٌ؛ فلقد ضربوا أروع الأمثلة في البر، ومراعاة مشاعر الوالدين، وإليك طرفًا من ذلك:

عن أبي مُرة مولى أم هانئ بنت أبي طالب: أنه ركب مع أبي هريرة إلى أرضه بالعقيق، فإذا دخل أرضه صاح بأعلى صوته: عليك السلام ورحمة الله وبركاته يا أمه. تقول: وعليك السلام ورحمة الله وبركاته. يقول: رحمك الله كما ربيتني صغيرًا. فتقول: «يا بني! وأنت فجزاك الله خيرًا ورضي عنك كما بررتني كبيرًا». (البخاري في الأدب المفرد: ١٤).

وهذا ابن عمر- رضي الله عنهما- لقيه رجل من الأعراب بطريق مكة، فسلم عليه عبد الله بن عمر، وحمله على حمار كان يركبه، وأعطاه عمامة كانت على رأسه. قال ابن دينار: فقلنا له: أصلحك الله! إنهم الأعراب، وهم يرضون باليسير. فقال عبد الله بن عمر: إن أبا هذا كان وُدًّا لعمر بن الخطاب رضي الله عنه، وإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إن أبرَّ البر صلة الولد أهل ودِّ أبيه». (مسلم: ٢٥٥٢).

وعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «دخلت الجنة فسمعت فيها قراءة، فقلتُ: من هذا؟ قالوا: حارثة بن النعمان، كذلكم البر، كذلكم البر، وكان أبر الناس بأمه». (رواه أحمد ٦/١٥١).

وعن أبي عبد الرحمن الحنفي قال: رأى كهمس بنُ الحسن عقربًا في البيت، فأراد أن يقتلها، أو يأخذها، فسبقته، فدخلت في جحر، فأدخل يده في الجحر ليأخذها، فجعلت تضربه، فقيل له: ما أردت إلى هذا؟ قال: خفت أن تخرج من الجحر فتجيء إلى أمي، فتلدغها. (حلية الأولياء ٢١١/٦، وانظر سير أعلام النبلاء ٣١٧/٦).

وهذا أبو الحسن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه وهو المسمى بزين العابدين، وكان من سادات التابعين- كان كثير البر بأمه، حتى قيل له: «إنك من أبر الناس بأمك، ولا نراك تؤاكل أمك، فقال: أخاف أن تسير يدي إلى ما سبقت عينها إليه؛ فأكون قد عققتها». (عيون الأخبار ٩٧/٣).

وقال هشام بن حسان: «حدثتني حفصة بنت سيرين، قالت: كانت والدة محمد بن سيرين حجازية، وكان يعجبها الصِّبغ، وكان محمد إذا اشترى لها ثوبًا اشترى ألين ما يجد، فإذا كان عيد صبغ لها ثيابًا، وما رأيته رافعًا صوته عليها، كان إذا كلمها كالمصغي». (سير أعلام النبلاء ٦١٩/٤).

وعن بعضِ آل سيرين قال: «ما رأيت محمد بن سيرين يكلم أمه قط إلا وهو يتضرع. وعن ابن عون أن محمدًا كان إذا كان عنده أمه لو رآه رجل ظن أن به مرضًا من خفض كلامه عندها». (المحاسن والمساوئ لإبراهيم البيهي ص٦١٤).

من صور فقر المشاعر مع الأبناء:

وكما أن هناك من الأولاد من لا يحسن التعامل مع والديه، ولا يراعي مشاعرهما، فهناك من الوالدين من هو كذلك، فبعضهم يقسو على أولاده قسوة تخرجه عن طوره، فتراه يضربهم ضربًا مبرحًا عند أدنى هفوة، وتراه يبالغ في عتابهم وتوبيخهم عند كل صغيرة وكبيرة، وتراه يُقتر عليهم مع قدرته ويساره، مما يجعلهم يشعرون بالنقص والحاجة، وربما قادهم ذلك إلى البحث عن المال إما بسرقة، أو بسؤال الناس، أو بالارتماء في أحضان رفقة السوء؛ فيفقدون إنسانيتهم، وكرامتهم.

ومن الوالدين مَن يحرم أولاده من الشفقة والحنان، وإشباع العواطف؛ مما يحدوهم إلى البحث عن ذلك خارج المنزل.

ويشتد الأمر إذا كان ذلك في حق البنات؛ فهن أرق شعورًا، وأندى عاطفة؛ فإذا شعرت بفقر من هذا الجانب أظلمت الدنيا في وجهها، وربما قادها ذلك إلى البحث عما يُشبع عواطفها؛ ولعل هذا من أعظم أسباب المعاكسات، وضيعة الآداب.

ومما يجرح مشاعر الأولاد: التفريق بينهم، وترك العدل في معاملتهم سواء كان ذلك في العطايا والهبات والهدايا، أو بالمزاح والملاطفة والحنان.

ومما يدخل في هذا القبيل: احتقار الأولاد، وذلك مما يجعل الواحد منهم عديم الثقة بنفسه، قليل الجرأة في الكلام والتعبير عن رأيه.

ومما يدخل في ذلك: قلة العناية بتربيتهم على تحمل المسئولية، وعدم إعطائهم فرصة للتصحيح إذا أخطئوا.

ومن ذلك: قلة المراعاة لتقدير مراحل العمر التي يمر بها الولد؛ فتجد من الوالدين من يعامل ولده على أنه طفل صغير؛ مع أنه قد كبر، فهذه المعاملة تؤثر في شعور الولد، وتشعره بالنقص.

ومما يجرحُ مشاعرَ الولدِ: دخولُ والده في كل صغيرة وكبيرة من أمره إذا تزوج؛ فتجد من الوالدين من يفرض وصاية عامة، ويضع سياجًا محكمًا على أولاده، حتى بعد أن يتزوجوا؛ فتراه يدخل في شئونهم الخاصة، وربما أتى بيوتهم على غرة، وربما فرض عليهم آراءه التي قد تكون مجانبة للصواب.

كل ذلك من الخلل في التربية، ومما يورث الخوف والتردد، والهزيمة لدى الأولاد.

الوسائل المعينة على مراعاة الجوانب التربوية المهمة:

يجب على الوالد أن يراعي تلك الجوانب في التربية، ومما يعينه عليه أمور منها:

١- تنمية الجرأة الأدبية في نفس الولد، وذلك بإشعاره بقيمته، وزرع الثقة في نفسه؛ حتى يعيش كريمًا شجاعًا صريحًا جريئًا في آرائه، في حدود الأدب واللياقة، بعيدًا عن الإسفاف والصفاقة؛ فهذا مما يشعره بالطمأنينة، ويكسبه القوة والاعتبار، بدلاً من التردد، والخوف، والهوان،

والذلة والصغار.

٢- استشارة الأولاد: كاستشارتهم ببعض الأمور المتعلقة بالمنزل أو غير ذلك، واستخراج ما لديهم من أفكار؛ كأخذ رأيهم في أثاث المنزل، أو لون السيارة التي سيشتريها الأب، أو أخذ رأيهم في مكان الرحلة أو موعدها، ثم يوازن الوالد بين آرائهم، ويطلب من كل واحد منهم أن يبدي مسوغاته، وأسباب اختياره لهذا الرأي، وهكذا.

ومن ذلك إعطاؤهم الحرية في اختيار حقائبهم، أو دفاترهم، أو ما شاكل ذلك؛ فإن كان ثم محذور شرعي فيما يختارونه بيَّنه لهم.

فكم في هذا العمل من زرع للثقة في نفوس الأولاد، وكم فيه من إشعار لهم بقيمتهم، وكم فيه من تدريب لهم على تحريك أذهانهم، وشحذ قرائحهم، وكم فيه من تعويد لهم على التعبير عن آرائهم.

٣- تعويد الولد على القيام ببعض المسئوليات؛ كالإشراف على الأسرة في حالة غياب ولي الأمر، وكتعويده على الصرف، والاستقلالية المالية، وذلك بمنحه مصروفًا ماليًا كل شهر أو أسبوع؛ ليقوم بالصرف منه على نفسه وبيته.

٤- تعويد الأولاد على المشاركة الاجتماعية؛ وذلك بحثهم على المساهمة في خدمة دينهم وإخوانهم المسلمين إما بالدعوة إلى الله، أو إغاثة الملهوفين، أو مساعدة الفقراء والمحتاجين، أو التعاون مع جمعيات البر، وغيرها.

٥- التدريب على اتخاذ القرار؛ كأن يعمد الأب إلى وضع الابن في مواضع التنفيذ، وفي المواقف المحرجة، التي تحتاج إلى حَسْم الأمر، والمبادرة في اتخاذ القرار، وتحمُّل ما يترتب عليه، فإن أصاب شجَّعه وشد على يده، وإن أخطأ قوَّمه وسدده بلطف؛ فهذا مما يعوده على مواجهة الحياة، وحسن التعامل مع المواقف المحرجة.

٦- فهم طبائع الأولاد ونفسياتهم؛ وهذه المسألة تحتاج إلى شيء من الذوق، وسبر الحال، ودقة النظر.

وإذا وُفِّق المربي لتلك الأمور، وعامل أولاده بذلك المقتضى، كان حريًا بأن يحسن تربيتهم، وأن يسير بهم على الطريقة المثلى.

٧- تقدير مراحل العمر للأولاد؛ فالولد يكبر، وينمو تفكيره، فلا بد أن تكون معاملته ملائمة لسنه وتفكيره واستعداده، وألا يعامل على أنه صغير دائمًا، ولا يعامل أيضًا وهو صغير على أنه كبير؛ فيطالب بما يطالب به الكبار، ويعاتب كما يعاتبون، ويعاقب كما يعاقبون.

٨- تلافي مواجهة الأولاد مباشرة، وذلك قدر المستطاع خصوصًا في مرحلة المراهقة، بل ينبغي أن يقادوا عبر الإقناع، والمناقشة الحرة، والحوار الهادئ البناء الذي يجمع بين العقل والعاطفة.

٩- الجلوس مع الأولاد؛ فمما ينبغي للأب- مهما كان له من شغل- أن يخصص وقتًا يجلس فيه مع أولاد يؤنسهم فيه ويسليهم ويعلمهم ما يحتاجون إليه، ويقص عليهم القصص الهادفة؛ لأن اقتراب الولد من أبويه ضروري جدًا، وله آثاره الواضحة، فهذا أمر مجرب، فالآباء الذين يقتربون من أولادهم، ويجلسون معهم ويمازحونهم- يجدون ثمار ذلك في أولادهم، حيث تستقر أحوال الأولاد، وتهدأ نفوسهم، وتستقيم طباعهم.

أما الآباء الذين تشغلهم الدنيا عن أولادهم- فإنهم يجدون غبَّ ذلك على الأولاد، فينشأ الأولاد وقد اسودت الدنيا أمامهم، لا يعرفون مواجهة الحياة، فيتنكبون الصراط، ويحيدون عن جادة الصواب، وربما تسبب ذلك في كراهية الأولاد للوالدين، وربما قادهم ذلك إلى الهروب من المنزل، والانحدار في هاوية الفساد.

ثم إن الوالد إذا كبر سنه، وكثر فراغه، وأراد أن يجلس مع أولاده لم يتمكن من ذلك؛ لأنه لم يعتد ذلك، ولم يعودهم عليه، وهذا أمر مجرب، فيحرمهم من جلوسه معهم صغارًا، ويُحرم من جلوسهم معه كبارًا.

١٠- العدل بين الأولاد؛ فما قامت السماوات والأرض إلا بالعدل، ولا يمكن أن تستقيم أحوال الناس إلا بالعدل؛ فمما يجب على الوالدين تجاه أولادهم أن يعدلوا بينهم، وأن يتجنبوا تفضيل بعضهم على بعض، سواء في الأمور المادية كالعطايا والهدايا والهبات، أو الأمور المعنوية، كالعطف والحنان وغير ذلك.

والله تعالى من وراء القصد.

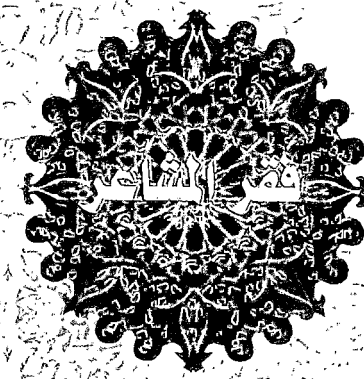

فقر المشاعر بين الوالدين والأولاد وبين الزوجين

الحلقة الثالثة

د. محمد إبراهيم الحمد

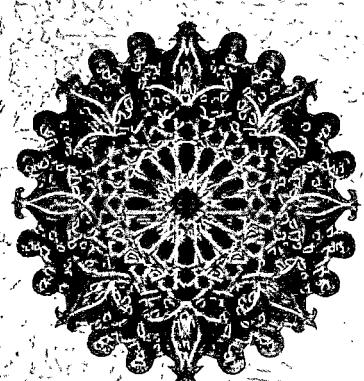

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، أما بعدُ:

فما يزال الحديث متصلاً عن بعض الأمور التربوية التي ينبغي للوالدين مراعاتها لتكوين علاقة جيدة مع أبنائهم، ومن ذلك:

١١- إشباع عواطفهم؛ فمما ينبغي مراعاته مع الأولاد إشباع عواطفهم، وإشعارهم بالعطف والرحمة والحنان؛ حتى لا يعيشوا محرومين من ذلك، فيبحثوا عنه خارج المنزل؛ فالكلمة الطيبة واللمسة الحانية والبسمة الصادقة وما جرى مجرى ذلك له أثره البالغ في نفوس الأولاد.

١٢- النفقة عليهم بالمعروف، وذلك بكفايتهم والقيام على حوائجهم؛ حتى لا يضطروا إلى البحث عن المال خارج المنزل.

١٣- إشاعة الإيثار بينهم، وذلك بتقوية روح التعاون بينهم، وتثبيت أواصر المحبة فيهم، وتعويدهم على السخاء، والشعور بالآخرين؛ حتى لا ينشأ الواحد منهم مغاليًا في حب ذاته، ولا هم له إلا خاصة نفسه. ثم إن تربيتهم على تلك الخلال تقضي على كثير من المشكلات التي تحدث داخل البيوت.

١٤- الإصغاء إليهم إذا تحدثوا، وإشعارهم بأهمية كلامهم؛ بدلاً من الانشغال عنهم، والإشاحة بالوجه، وترك الإنصات لهم.

فالذي يجدر بالوالد إذا تحدث ولده- خصوصًا الصغير- أن يصغي له تمامًا، وأن يبدي اهتمامه بحديثه، كأن تظهر علامات التعجب على وجهه، أو يبدي بعض الأصوات أو الحركات التي تدل على الإصغاء والاهتمام والإعجاب، كأن يقول: رائع، حسن، صحيح، أو أن يقوم بالهمهمة، وتحريك الرأس وتصويبه، وتصعيده، أو أن يجيب على أسئلته أو غير ذلك، فمثل هذا العمل له آثار إيجابية كثيرة منها:

أ- أن هذا العمل يعلّم الولد الطلاقة في الكلام.

ب- يساعده على ترتيب أفكاره وتسلسلها.

ج- يدربه على الإصغاء وفهم ما يسمعه من الآخرين.

د- أنه ينمّي شخصية الولد، ويصقلها.

هـ- يقوّي ذاكرته، ويعينه على استرجاع ما مضى.

و- يزيده قربًا من والده.

هذه بعض الأساليب التي تنهض بالمشاعر، وترهف

الأذواق لدى الأولاد، وحول فقر المشاعر في الحياة الزوجية، فهذا ما نتحدث عنه الآن:

فقر المشاعر في الحياة الزوجية

فمن البيوت ما يخيّم عليها الصمت المطبق، ويسودها السكون الموحش، فلا تأنس الزوجة فيها بحديث زوجها، ولا هو يأنس بحديثها، ولا يسمع أحدهما من الآخر كلمة عطف أو حنان، أو رحمة.

ومن الأزواج من يكثر لوم زوجته، وانتقادها عند كل صغيرة وكبيرة؛ فتراه ينتقد الطعام التي تعده الزوجة، وتراه يعاقبها إذا بكى أولاده الصغار، أو كثر عبثهم، وتراه يبالغ في تأنيبها إذا نسيت أو قصرت في أي شأن من شئونه.

وأقبح ما في ذلك أن يعنفها فيما لا قدرة لها عليه، كأن يلومها إذا كانت لا تنجب، أو لا تنجب إلا بنين فحسب، أو بنات فحسب، ويلومها إذا أنجبت ولدًا مصابًا ببعض العيوب الخلقية، فيجمع بذلك بين ألمها في نفسها وبين إساءته البالغة التي تقض مضجعها، وتؤرق جفنها.

وما هذا بمسلك العقلاء، ذلك أن كثرة اللوم لا تصدر عن ذي خلق كريم أو طبع سليم؛ ثم إن ذلك يورث النفرة، ويوجب الرهبة.

فدع العتابَ فرب شرر

هاج أوله العتاب

فالزوج العاقل الكريم لا يعاتب زوجته عند أدنى هفوة، ولا يؤاخذها بأول زلة.

بل يلتمس لها المعاذير، ويحملها على أحسن المحامل.

وإن كان هناك ما يستوجب العتاب عاتبها عتابًا لينًا رقيقًا تدرك به خطأها دون أن يهدر كرامتها، أو ينسى جميلها.

ثم ما أحسن أن يتغاضى المرء ويتغافل، فذلك من دلائل سمو النفس وشفافيتها أو أريحيتها، كما أنه مما يعلي المنزلة، ويريح من الغضب وآثاره المدمرة.

وإن أتت المرأة ما يوجب العتاب فلا يحسن بالزوج أن يكرر العتاب، وينكأ الجراح مرة بعد مرة؛ لأن ذلك يُفضي إلى البُغض، وقد لا يُبقي للمودة عينًا ولا أثرًا. ومما يعين الزوج على سلوك طريق الاعتدال في عتاب الزوجة أن يوطّن نفسه على أنه لن يجد من زوجته كل ما يريد، كما أنها لن تجد فيه كل ما تريد؛ فلا يحسن به- والحالة هذه- أن يُعاتب في كل الأمور، وأن يتعقب كل صغيرة وكبيرة، فأي الرجال المهذب؟ ومن ذا الذي تُرضى سجاياه كلها؟ ثم إن الإنسان لا يستطيع أن يتخلص من كثير من عيوبه؛ فعلام نُحمّل الآخرين فوق ما يطيقون، ونحن عن تلافي كثير من عيوبنا عاجزون؟

ولا يعني ما مضى أن يتساهل الزوج في تقصير الزوجة في الأمور المهمة نحو القيام بالواجبات الدينية، أو رعاية الآداب المرعية، أو التزام ما تقضي به الصيانة والعفة؛ فهذه أمور يجب أن توضع على رأس الأشياء التي لا يقبل التنازل عنها بحال.

قال النبي صلى الله عليه وسلم: «استوصوا بالنساء؛ فإن المرأة خُلقت من ضلع، وأن أعوج ما في الضلع أعلاه». (متفق عليه).

فالحديث الشريف يعلم الرجل كيف يسلك في سياسة الزوجة طريق الرفق والأناة؛ فلا يشتد ويبالغ في ردها عن بعض آرائها التي بها عوج؛ فإن ذلك قد يفضي إلى الفراق.

كما أنه لا يتركها وشأنها؛ فإن الإغضاء عن العوج مدعاة لاستمراره أو تزايده.

والعوج المستمر أو المتزايد قد يكون شؤمًا على المعاشرة، فتصير إلى عاقبة مكروهة.

وبعد ذلك فقد يقع من الزوج شدة في العتاب، أو إسراف في اللوم، فيحسن به إذا وقع منه ذلك أن يبادر إلى الاعتذار، أو الهدية، وإظهار الأسف، والاعتراف بالخطأ دون أن تأخذه العزة بالإثم؛ فما هو إلا بشر، وما كان لبشر أن يدعي أنه لم يقل إلا صوابًا.

فإذا أخذ الزوج بهذه الطريقة قلّ عتابه، وأراح نفسه، وسما بخلقه، وحافظ على مشاعره.

قال ابن حبان رحمه الله: «من لم يعاشر الناس على لزوم الإغضاء عما يأتون المكروه، وترك التوقع لما يأتون من المحبوب كان إلى تكدير عيشه أقرب منه إلى صفائه، وإلى أن يدفعه الوقت إلى العداوة والبغضاء أقرب منه أن ينال منهم الوداد وترك الشحناء». (روضة العقلاء لابن حبان ص٧٢).

وللحديث بقية إن شاء الله، نسأل الله أن يسعدنا في بيوتنا، ويبارك لنا في أزواجنا وأبنائنا؛ إنه ولي ذلك والقادر عليه.

فقر المشاعر بين الوالدين والأولاد

الحلقة الرابعة

د. محمد إبراهيم الحمد

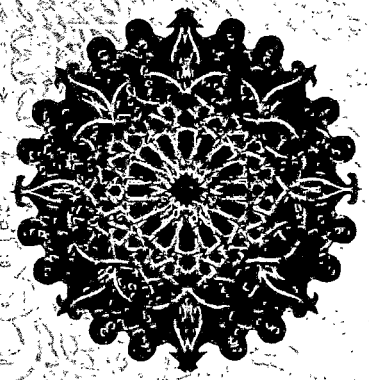

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، أما بعدُ:

فما يزال الحديث متصلاً عن فقر المشاعر في الحياة الزوجية، وما يقع من الزوج من شدة في العتاب، أو إسراف في اللوم، وقلنا: إنه يحسن به إذا وقع منه ذلك أن يبادر إلى الاعتذار، أو الهدية، وإظهار الأسف، والاعتراف بالخطأ دون أن تأخذه العزة بالإثم؛ فما هو إلا بَشَر، وما كان لبشر أن يدّعي أنه لم يقل إلا صوابًا.

وكما أن من الأزواج من يكثر انتقاد الزوجة ولومها إذا هي أخطأت أي خطأ، فكذلك تجد من هؤلاء من لا يشكر زوجته إذا هي أحسنت، ولا يشجعها إذا قامت بالعمل كما ينبغي، فقد تقوم الزوجة بإعداد الطعام الذي يلذُّ للزوج، وقد ترفع رأسه إذا قدم عليه ضيوف، وقد تقوم على رعاية الأولاد خير قيام، وقد تظهر أمامه بأبهى حلة، وأجمل منظر، وقد، وقد، وقد..

ومع ذلك لا تكاد تظفر منه بكلمة شكر، أو ابتسامة رضًا، أو نظرة عطف وحنان، فضلاً عن الهدية والإكرام.

ولا ريب أن ذلك ضرب من ضروب الغلظة، ونوع من أنواع اللؤم والبخل.

وقد يلتمس الزوج لنفسه العذر بأنه يخشى من تعالي الزوجة وغرورها إذا هو شكرها أو أثنى عليها.

وهذا الكلام ليس صحيحًا على إطلاقه؛ فيا أيها الزوج الفاضل: لا تبخل بما فيه سعادتك وسعادة زوجتك، ولا تهمل اللفتات اليسيرة من هذا القبيل، فإن لها شأنًا جللاً، وتأثيرًا بالغًا.

فماذا يضيرك إذا أثنيت على زوجتك بتجملها، وحسن تدبيرها؟ وماذا ستخسر إذا شكرتها على وجبة أعدتها للضيوف؟ أو ذكرتَ لها امتنانك لرعايتها وخدمتها لبيتك وأولادك- وإن كان ذلك من اختصاصها، وإن كانت لا تقدمه إلا على سبيل الواجب؟

لكن ذلك من قبيل الكلمة الطيبة التي تؤكد أسباب المودة والرحمة.

إن الزوجة إذا وجدت ذلك من زوجها ستسعد،

وتشعر بالنشاط، وتندفع في خدمته، وتسارع إلى مراضيه؛ لما تلقاه منه من حنان وعطف وتقدير.

وإذا أصبح قلبها مُترعًا بهذه المعاني عاشت معه آمنة مطمئنة، وعاد ذلك على الزوج بالأنس والمسرات.

من صور سوء عشرة الزوجة لزوجها:

وكما أن كثرة اللوم وقلة الشكر يصدر من بعض الأزواج، فكذلك يصدر من بعض الزوجات؛ فمن الزوجات من هي كثيرة التسخط، قليلة الحمد والشكر، فاقدة لخلق القناعة، غير راضية بما آتاها الله من خير.

فإذا سُئلت عن حالها مع زوجها أبدت السخط، وأظهرت الأسى واللوعة، وبدأت بعقد المقارنات بين حالها وحال غيرها من الزوجات اللائي يُحسنُ إليهن أزواجهن.

وإذا قدم لها زوجها مالاً سارعت إلى إظهار السخط، وندب الحظ؛ لأنها تراه قليلاً مقارنة بما يُقدَّم لنظيراتها.

وإذا جاءها بهدية احتقرت الهدية، وقابلتها بالكآبة، فتُدخل على نفسها وعلى زوجها الهم والغم بدل الفرح والسرور، بحجة أن فلانة من الناس يأتيها زوجها بهدايا أنفس مما جاء به زوجها.

وإذا أتى بمتاع أو أثاث يتمنى كثير من الناس أن يكون لهم مثله قابلته بفظاظة وشراسة منكرة، وبدأت تُظهر ما فيه من العيوب.

وبعضهن يُحسن إليها الزوج غاية الإحسان، فإذا حصلت منه زلة، أو هفوة، أو غضب عليه غضبة نسيت كل ما قدَّم لها من إحسان، وتنكرت لما سلف له من جميل.

وهكذا تعيش في نكَد وضيق، ولو رُزقت حظًّا من القناعة لأشرقت عليها شموس السعادة.

ومثل هذه المرأة يوشك أن تُسلب منها النعم، فتقرع بعد ذلك سن الندم، وتعض أنامل التفريط، وتقلب كفيها على ما ذهب من نعمها.

من وسائل سعادة المرأة في بيتها:

إن السعادة الحقة إنما هي بالرضا والقناعة، وإن كثرة الأموال والتمتع بالأمور المحسوسة الظاهرة- لا يدل على السعادة؛ فماذا ينفع الزوجة أن تتلقى من زوجها الحلي والنفائس والأموال الطائلة إذا هي لم تجد المحبة، والحنان، والرحمة، والمعاملة الحسنة؟!

وماذا ستجني من جراء تسخطها إلا إسخاطها ربها، وخراب بيتها، وتكدير عيشة زوجها؟!

فواجب على المرأة العاقلة أن تتجنب التسخط، وجدير بها أن تكون كثيرة الشكر؛ فإذا سُئلت عن بيتها زوجها وحالها أثنت على ربها، وتذكرت نعمه، ورضيت قسمته؛ فالقناعة كنز الغني، والشكر قيد النعم الموجودة، وصيد النعم المفقودة؛ فإذا لزم الإنسان الشكر درت نعمه وقرت؛ فمتى لم ترَ حالك في مزيد فاستقبل الشكر، كيف وقد قال ربنا عز وجل: « وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ » (إبراهيم:٧).

بل يحسن بالزوجة أن تشكر ربها إذا نزل بها ما تكرهه؛ شكرًا لله على ما قدره، وكظمًا للغيظ، وسترًا للشكوى، ورعاية للأدب. (انظر مدارج السالكين لابن القيم ٢/١٩٩، ٢٤٣).

ثم إن الشكوى للناس لا تجدي نفعًا، ولا تطفئ لوعة- في الغالب، ولهذا رأى بعض السلف رجلاً يشكو إلى رجل فاقته وضرورته فقال: «يا هذا، والله ما زدت على أن شكوت من يرحمك إلى من لا يرحمك». (الفوائد لابن القيم ص١٣١).

وإن هناك من حاجة لبث الشكوى لمن يعنيهم الأمر؛ طلبًا للنصيحة، أو نحو ذلك، فلا بأس، وإلا فلماذا نثير انتباه الذي لا يعنيهم أمرنا، ولا ننتظر منهم أي فائدة لنا، فنفضح أنفسنا، ونهتك أستارنا، ونُبين عن ضعفنا وخَوَرنا في سبيل الحصول على شفقة أو عطف ليس من نتيجة سوى ازدياد الحسرة وتفاقم المصيبة.

وللحديث بقية إن شاء الله، نسأل الله أن يسعدنا في بيوتنا، ويبارك لنا في أزواجنا وأبنائنا، ويصلح لنا سائر أحوالنا.

فقر المشاعر

فقر المشاعر بين الزوجين

الحلقة الرابعة

إعداد/ د. محمد إبراهيم الحمد

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، أما بعدُ:

لا يزال الحديث متصلاً عن فقر المشاعر بين الزوجين، فنقول وبالله تعالى التوفيق:

مساوئ كفر النعمة وجحود الفضل:

ثم إن من حق الزوج على زوجته أن تعترف له بنعمته، وأن تشكر له ما يأتي به من طعام، ولباس، وهدية ونحو ذلك مما هو في حدود قدرته، وأن تدعو له بالعوض والإخلاف، وأن تظهر الفرح بما يأتي به؛ فإن ذلك يُفرحه، ويبعثه إلى المزيد من الإحسان.

كما يحسن بالزوجة أن تستحضر أن الزوج سببُ الولد، والولدُ من أجلِّ النعم، ولو لم يكن من فضلِ الزوج إلا هذه النعمة لكفاه، «فمهما تكن الزوجة شقية بزوجها فإن زوجها قد أولَدها سعادتها، وهذه وحدها مزية ونعمة». (وحي القلم للرافعي ١/ ٢٩٢).

أما كفر النعمة، وجحود الفضل، ونسيان أفضال الزوج؛ فليس من صفات الزوجة العاقلة المؤمنة، فهي بعيدة عما لا يرضي الله عز وجل، فجحود فضل الزوج سماه الشارع كفرًا، ورتَّب عليه الوعيد الشديد، وجعله سببًا لدخول النار.

قال صلى الله عليه وسلم: «رأيت النار ورأيت أكثر أهلها النساء». قالوا: لمَ يا رسول الله؟ قال: «يكفرن الإحسان، لو أحسَنت إلى إحداهن الدهر ثم رأت منك شيئًا قالت: ما رأيت منك خيرًا قط». (البخاري: ٢٩؛ ومسلم: ٩٠٧).

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا ينظر الله إلى امرأة لا تشكر لزوجها، وهي لا تستغني عنه». (السلسلة الصحيحة: ٢٨٩).

وعن أسماء بنت يزيد الأنصارية قالت: «مر بي النبي صلى الله عليه وسلم وأنا وجوار أترابٌ لي؛ فسلَّم علينا، وقال: «إياكن وكفر المنعِّمين». وكنت من أجرئهن على مسألته، فقلت: يا رسول الله، وما كفرُ المنعِّمين؟ قال: «لعل إحداكن تطول أيمتها عند أبويها، ثم يرزقها الله زوجًا، ويرزقها ولدًا، فتغضب الغضبة، فتكفر، فتقول: ما رأيت منك خيرًا قط». (رواه أحمد: ٦/ ٤٥٧، والبخاري في الأدب المفرد: ١٤٨، وصححه الألباني في الأدب المفرد: ٨٠٠).

خلل تقع فيه بعض الزوجات:

ومن الخلل الذي تقع فيه بعض الزوجات في هذا الباب: قلة المراعاة لأحوال الزوج ومشاعره، فقد تزعجه بالأخبار السيئة، وتكثر الطلبات منه إذا عاد إلى المنزل منهكًا مكدودًا قد بلغ به الإعياء مبلغه.

وقد تكثر من ترداده إلى السوق؛ ليأتي بما يحتاجه المنزل، فإذا رجع إلى المنزل ذكرت حاجة أخرى، فعاد إلى السوق مرة أخرى، وقد يرجع أكثر من ذلك، وقد يتكرر هذا منها مرات عديدة.

وقد يكون الزوج حاد المزاج، شديد التأثر لأقل الأشياء المخالفة لذوقه؛ فلا تراعي الزوجة فيه هذه الخصلة، فربما تضحك وهو في حالة غضب أو حزن، وقد يوجُه لها الخطاب، فتعرض وتشيح بوجهها عنه، وقد يتكلم بكلمة غضب فتجيبه بعشر كلمات.

وقد تتعمد إغضابه، وإثارته، فما هي إلا أن تتحرك العاصفة، وينفجر البركان.

ومن قلة المراعاة لأحواله ومشاعره: قلة المراعاة لوقت نومه، وأكله، وقراءته، ونحو ذلك.

ومن ذلك: قلة العناية بمخاطبته ومحادثته، فلا تناديه بأحب الأسماء إليه، ولا تخفض صوتها إذا خاطبته، إلى ذلك مما ينافي أدب المخاطبة والمحادثة.

ومن ذلك أن تبدأ تنظيف البيت، أو مكافحة الحشرات بالمبيدات إذا دخل الزوج المنزل، أو همَّ

بالنوم، أو الأكل، فتزعجه بالجَلَبَة، وتزكم أنفه بالروائح التي لا تروقه.

فمثل هذه الأعمال تقصير في حق الزوج، ودليل على حمق المرأة، وخفة عقلها، وقلة ذوقها.

فالذي تقتضيه الحكمة أن تراعي الزوجة أحوال زوجها، ومشاعره، وأن تعمل ما في وسعها لإدخال السرور عليه، وإزالة الهمّ والغم عن قلبه، فتفرح لفرحه، وتحزن لحزنه، حتى يشعر بأنها تتعاون معه، حيث يَسُرُّها ما يسره، ويُحزنها ما يحزنه.

ولا ينبغي لها أن تظهر بمظهر السرور إذا كان محزونًا، كما ينبغي أن تكظم حزنها إذا رأته مسرورًا؛ فإن ذلك أدعى لدوام الألفة، وأدل على كرم نفس الزوجة.

ومما ينبغي لها أن تجمع ما يحتاجه المنزل؛ وتخصص وقتًا في الأسبوع أو الشهر أو نحو ذلك، فتكتب ما تحتاجه في ورقة؛ كي يأتي به مرة واحدة بدلاً من كثرة ترداده في حاجات يسيرة.

ولا يعني ذلك أن تكون هذه قاعدة مطردة؛ فقد تقتضي الحال إرساله أكثر من مرة في اليوم، ولكن تحاول قدر المستطاع أو تختصر ذلك.

ومما ينبغي لها في هذا الصدد أن ترعاه في طعامه، فتصنع له ما يشتهيه، وتنوِّع له الطعام كيلا يسأم، وتلاحظ الوقت الذي تقدم له الطعام، فلا تؤخره ولا تقدمه إلا بإذنه.

كما يحسن بها أن تراعي أوقات نومه، فتحرص على تهدئة الأطفال؛ ليأخذ راحته الكافية، فإذا أخذ قسطه من الراحة انشرح صدره، وهدأت أعصابه، وإلا بقي قلقًا مستوفزًا.

ومما يدخل السرور عليه أن تحرص الزوجة على نظافة المنزل، وأن تعتني بثياب الزوج؛ كي يظهر بالمظهر اللائق.

وإن كان طالب علم، أو صاحب قراءة وبحث فلتحرص على العناية بمكتبته، وكتبه ترتيبًا، وتنظيمًا، وتنظيفًا.

وإذا مرت به أزمة، أو مشكلة فلتقف معه بالدعاء، والرأي، والتثبيت، ونحو ذلك.

وإذا أرادت مخاطبته خاطبته بأسلوب لَبِق جذاب، يشعر من خلاله باحترامها وتوقيرها له.

قال ابن الجوزي رحمه الله: «وعن عثمان بن عطاء عن أبيه قال: قالت ابنة سعيد بن المسيب: ما كنا نكلم أزواجنا إلا كما تكلمون أمراءكم».

وعلى الزوج أن يصبر على ما قد يجده من نقص أو تقصير في حقه، وليعلم أن في الصبر على ما قد يكرهه خيرًا كثيرًا.

ومما يروى في ذلك ما قاله الشيخ الصباغ رحمه الله: «وحدثني صديق آخر قال: إنني من الأيام الأولى لزواجنا لم أجد في قلبي ميلاً لهذه المرأة ولا حبًّا لها، ولكنني عاهدت الله على أن أصبر عليها، ولا أظلمها، ورضيت قسمة الله لي، ووجدت الخير الكثير من المال، والولد، والأمن، والتوفيق». (نظرات في الأسرة المسلمة ص١٩٦).

ثم قال الشيخ الصباغ معلقًا على تلك القصتين: «لكن ذلك كان من هذين الرجلين برضى داخلي، وإيثار لمصلحة رأياها، ولم يسلكا هذا المسلك لأنه فرض عليهما لازم؛ فحقق الله لهما الخير العظيم، ومن هذا الخير الثوابُ العظيم الذي أعده الله للصابرين.

قال: أما إذا أراد الإنسان العافية من هذا الصبر، والبحث عن المتعة والهناءة والسعادة والصفاء، ووجد امرأة صالحة تحقق له في توقعه ذلك كله، فليس هناك مانع شرعي أن يتزوج منها، ويعدل بين الزوجتين بما يستطيع من وسائل». (نظرات في الأسرة المسلمة ص١٩٦).

هذا، وقد تلقينا في التاريخ، ورأينا بأعيننا أزواجًا عرفوا حقوق الزوجية، واحتفظوا بآدابها التي أمر الإسلام بها، فعاشوا في ارتياح وهناءة، موصولين بتعاطف واحترام.

وربما ظهر هذا فيما يصدر من الزوجين من عبارات الأسف والتحسر عند الوداع.

نسأل الله أن يسعدنا في بيوتنا، وأن يبارك لنا في أزواجنا وأبنائنا.

وللحديث بقية إن شاء الله.

فقر الشاعر

فقر الشاعر بين الزوجين

الحلقة الخامسة

إعداد/ د. محمد إبراهيم الحمد

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، أما بعدُ:

فقد تحدثنا في المقال السابق عن مساوئ كفر النعمة وجحود الفضل من الزوجة لزوجها، وأنه من حق الزوج على زوجته أن تعترف له بنعمته، وأن تشكر له ما يأتي من طعام ولباس وهدايا، ونحوه. ثم تحدثنا عن الخلل الذي تقع فيه بعض الزوجات من قلة المراعاة لأحوال الزواج ومشاعره... إلخ، وفي هذا العدد نتحدث عن:

مظاهر فقر المشاعر عند بعض الأزواج

ومن أعظم مظاهر فقر المشاعر أو انعدامها عند بعض الأزواج: ضرب الزوجة بلا مسوغ؛ فمن الأزواج من قسا قلبه، وغلظ طبعه، وتعدى طوره، وساء للدين فهمه، حيث يضرب زوجته ضرب غرائب الإبل، ويسومها سوء العذاب عند أتفه الأسباب، وربما تستر بعض أولئك العتاة العصاة القساة بالإذن القرآني بالضرب، ففهموه على غير وجهه.

وبعضهم يرى أن ذلك من الرجولة، فالرجولةُ في نظرهم تعني الظلم، والقهر، والتسلط، والاستعلاء، والاستبداد، والقوامةُ عندهم طوق في عنق المرأة لإذلالها وتسخيرها.

والعجيب أن ترى بعض هؤلاء يتذلل ويتمسكن لأهل الزوجة قبل الزواج، فإذا ما ظفر بإربه تنكر، وقلب ظهر المجنّ، فانقلبت ذلته طغيانًا، وتبدلت مسكنته تسلطًا وجبروتًا.

فتراه بعد ذلك يرفع يده أو عصاه على زوجته عند أدنى سبب، وربما بلا سبب، وربما ضربها هي وأولادها، وربما جمع إلى الضرب الشتم، والسب، والقذف.

إن المرأة ليست همالاً مضاعًا، ولا لقىً مزدرى، وليست بهيمة تباع وتشترى، فيصنع بها ربها كيف يشاء.

إن للمرأة في هذه الحال الحقَّ الكامل في أن تشكو حالها إلى أوليائها، أو أن ترفع إلى الحاكم أمرها؛ لأنها إنسان مكرم داخل في قوله تعالى: «وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا» (الإسراء: ٧٠).

وليس حسن المعاشرة أمرًا اختياريًّا متروكًا للزوج إن شاء فعله وإن شاء تركه، بل هو تكليف واجب.

وليس الرفق بالمرأة من باب الرفق بالحيوان الأعجم، ولكنه حق لها، وواجب على زوجها، فهي

مُكرمة مثله بالخلق السوي، والصورة الحسنة، والتقويم الحسن، وهي مكرمة- كذلك- بالبيان والعقل، وحمل الأمانة؛ فهذه المزايا مشاعة بين الرجل والمرأة؛ فمن أراد أن يعامل الزوجة معاملة الدابة والسلعة فقد كفر نعمة الله، وعرض نفسه للعقوبة. (عودة الحجاب ٢/ ٤٦٥، ٤٦٦).

فأين أولئك القساة العصاة من قوله تعالى: «إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ» (الفجر: ١٤).

وأين هم من قول النبي صلى الله عليه وسلم: «إني أحرِّج عليكم حق الضعيفين: اليتيم والمرأة». (السلسلة الصحيحة: ١٠١٥).

وقوله صلى الله عليه وسلم: «النساء شقائق الرجال». (صححه أحمد شاكر في تحقيق الترمذي ١/ ١٩٠، ١٩٢).

وقوله صلى الله عليه وسلم: «لا يجلد أحدكم امرأة جلد العبد ثم يضاجعها». (البخاري: ٥٢٠٤، ومسلم: ٢٨٥٥).

فهذا الحديث من أبلغ ما يمكن أن يقال في تشنيع ضرب النساء؛ إذ كيف يليق بالإنسان أن يجعل امرأته- وهي كنفسه- مهينة كمهانة عبده؛ بحيث يضربها بسوطه أو بيده، مع أنه يعلم أنه لا بد له من الاجتماع والاتصال بها.

قال الشيخ محمد رشيد رضا- رحمه الله- في هذا الحديث: «وأذكر أنني هُديت إلى معناه العالي قبل أن أطلع على لفظه الشريف؛ أقول: يالله العجب! كيف يستطيع الإنسان أن يعيش عيشة الأزواج مع امرأة تُضرَب؟ تارة يسطو عليها بالضرب، فتكون منه كالشاة مع الذئب، وتارة يذل لها كالعبد طالبًا منتهى القرب». (نداء للجنس اللطيف ص٤٦).

ولا يفهم مما مضى الاعتراض على مشروعية ضرب الزوجة بضوابطه، ولا يعني أن الضرب مذموم بكل حال. لا، ليس الأمر كذلك؛ فلا يطعن في مشروعية الضرب إلا من جهل هداية الدين، وحكمة تشريعاته من أعداء الإسلام ومطاياهم.

هؤلاء الذين يتظاهرون بتقديس النساء والدفاع عن حقوقهن؛ فهم يطعنون في هذا الحكم، ويتأففون منه، ويعدونه إهانة للمرأة.

وما ندري من الذي أهان المرأة؟ أهو ربها الرحيم الكريم الذي يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير؟ أم هؤلاء الذين يريدونها سلعة تمتهن وتهان، فإذا انتهت مدة صلاحيتها ضربوا بها وجه الثرى؟

إن هؤلاء القوم يستنكفون من مشروعية تأديب المرأة الناشز، ولا يستنكفون أن تنشز المرأة، وتترفع على زوجها، فتجعله- وهو رأس البيت- مرؤوسًا، وتصر على نشوزها، وتمشي في غلوائها، فلا تلين لوعظه، ولا تستجيب لنصحه، ولا تبالي بإعراضه وهجره.

تُرى كيف يعالجون هذا النشوز؟ وبم يشيرون على الأزواج أن يعاملوا به الزوجات إذا تمردن؟

لقد وُجِدَ من النساء- وفي الغرب خاصة- من تضرب زوجها مرة إثر مرة، والزوج يكتم أمره، فلما لم يعد يطيق ذلك طلقها، حينئذ ندمت المرأة، وقالت: أنا السبب؛ فلقد كنت أضربه، وكان يستحيي من الإخبار بذلك، ولما نفد صبره طلقني!

وقالت تلك المرأة القوامة: أنا نادمة على ما فعلت، وأوجه النصيحة بألا تضرب الزوجات أزواجهن!

لقد أذن الإسلام بضرب الزوجة كما في قوله تعالى: «وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ» (النساء: ٣٤).

وكما في قوله عليه الصلاة والسلام في حجة الوداع: «ولكم عليهن ألا يوطئن فرشكم أحدًا تكرهونه، فإن فعلن ذلك فاضربوهن ضربًا غير مُبرح». (رواه مسلم: ١٢١٨).

ولكن الإسلام حين أذن بضرب الزوجة لم يأذن بالضرب المبرح الذي يقصد به التشفي، والانتقام، والتعذيب، وإهانة المرأة وإرغامها على معيشة لا ترضى بها.

وإنما هو ضرب للحاجة وللتأديب، تصحبه عاطفة المربي والمؤدب، فليس للزوج أن يضرب زوجته بهواه، وليس له إن ضربها أن يقسو عليها.

وللحديث بقية حول ضوابط الضرب

والله الموفق.

فقر المشاعر

فقر المشاعر بين الزوجين

الحلقة السادسة

إعداد/ د. محمد إبراهيم الحمد

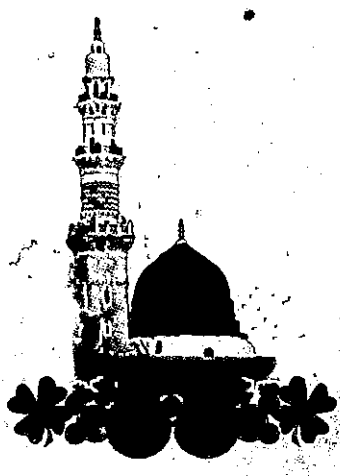

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، أما بعدُ؛

فقد تحدثنا في المقال السابق عن بعض مظاهر فقر المشاعر عند بعض الأزواج، وذكرنا أن من مظاهر فقر المشاعر أو انعدامها عند بعض الأزواج ضرب الزوجة بلا مسوغ، وأن البعض يرى ذلك من الرجولة، وسوف نتحدث بعون الله عن ضوابط الضرب، فالإسلام أذن بالضرب بشروط منها:

أ- أن تصر الزوجة على العصيان حتى بعد التدرج معها.

ب- أن يتناسب العقاب مع نوع التقصير، فلا يبادر إلى الهجر في المضجع في أمر لا يستحق إلا الوعظ والإرشاد، ولا يبادر إلى الضرب وهو لم يجرِّب الهجر؛ ذلك أن العقاب بأكثر من حجم الذنب ظلم.

جـ- أن يستحضر أن المقصود من الضرب العلاجُ والتأديب والزجر لا غيرُ؛ فيراعي التخفيف فيه على أحسن الوجوه؛ فالضرب يتحقق باللكزة، أو بالمسواك ونحوه.

د- أن يتجنب الأماكن الخطرة والحساسة كالرأس والبطن والوجه.

هـ- ألا يكسر عظمًا، ولا يشين عضوًا، وألا يدميها، ولا يكرر الضربة في الموضع الواحد.

و- ألا يتمادى في العقوبة قولاً أو فعلاً إذا هي ارتدعت وتركت النشوز.

ومن هنا يتبين لنا أن الضرب دواء ينبغي مراعاة وقته، ونوعه، وكيفيته، ومقداره، وقابلية المحل، لكن الجهلة بدين الله ويقلبون الأمر، ويلبسون الحق بالباطل.

ثم إن التأديب بالضرب ليس كل ما شرعه الإسلام من العلاج، بل هو آخر العلاجات مع ما فيه من الكراهة، فإذا نشزت المرأة وأساءت عشرة زوجها، وركبت رأسها، واتبعت خطوات الشيطان، ولم ينجح معها وعظ ولا هجران- فماذا يصنع الرجل في مثل هذه الحال؟

هل من كرامته أن يهرع إلى تطليق زوجته كلما نشزت؟ وهل تقبل المرأة ذلك، فينتشر خبرها، فتكون غرضًا للذم، وعرضة للوم؟

إن الضرب بالمسواك وما أشبهه أقلُّ ضررًا على المرأة نفسها، وأحفظ لمشاعرها من تطليقها الذي

هو نتيجة غالبة لاسترسالها في نشوزها، فإذا طُلقت تصدع بنيان الأسرة، وتفرق شملها، وتناثرت أجزاؤها.

وإذا قيس الضرر الأخف بالضرر الأعظم كان ارتكاب الأخف حسنًا جميلاً، كما قيل، وعند ذكر العمى يُستحسن العورُ.

فالضرب طريق من طرق العلاج يجدي مع بعض النفوس الشاردة التي لا تفهم بالحسنى، ولا ينفع معها الجميل، ولا تفقه الحجة، ولا تقاد بزمام الإقناع.

ثم إذا أخطأ أحد من المسلمين سبيل الحكمة، فضرب زوجته وهي لا تستحق، أو ضربها ضربًا مبرحًا، فالدين براء من تبعة هذه النقائص، وإنما تبعتها على أصحابها.

هذا، وقد أثبتت دراسات علم النفس أن بعض النساء لا ترتاح أنفسهن إلا إذا تعرضن إلى قسوة وضرب شديد مبرح، بل قد يعجبها من الرجل قسوته، وشدته، وعنفه؛ فإذا كانت امرأة من هذا النوع لا يستقيم أمرها إلا بالضرب.

وشواهد الواقع والملاحظات النفسية على بعض أنواع الانحراف تقول: إن هذه الوسيلة قد تكون أنسب الوسائل لإشباع انحراف نفسي معين، وإصلاح سلوك صاحبه، وإرضائه في الوقت ذاته، فربما كان من النساء من لا تحسّ قوة الرجل الذي تحب أن يكون قوامًا عليها إلا حين يقهرها عضليًا.

وليست هذه طبيعة كل امرأة، ولكن هذا الصنف من النساء موجود، وهو الذي يحتاج إلى هذه المرحلة الأخيرة؛ ليستقيم على الطريقة.

والذين يولعون بالغرب، ويولون وجوههم شطره يوحون إلينا أن نساء الغرب ينعمن بالسعادة العظمى مع أزواجهن، ولكن الحقيقة الماثلة للعيان تقول غير ذلك، فتعالوا نطالع بعض الإحصاءات التي تدل على وحشية الآخرين الذين يرمون المسلمين بالوحشية:

أ- نشرت مجلة التايم الأمريكية أن ستة ملايين زوجة في أمريكا يتعرضن لحوادث من جانب الزوج كل عام، وأنه من ألفين إلى أربعة آلاف امرأة يتعرضن لضرب يؤدي إلى الموت، وأن رجال الشرطة يقضون ثلث وقتهم للرد على مكالمات حوادث العنف المنزلي. (انظر: دور المرأة المسلمة في المجتمع، إعداد لجنة المؤتمر النسائي الأول ص٤٥).

ب - ونشر مكتب التحقيقات الفيدرالي الأمريكي عام ١٩٧٩م أن ٤٠٪ من حوادث قتل النساء تحدث بسبب المشكلات الأسرية، وأن ٢٥٪ من محاولات الانتحار التي تُقدم عليها الزوجات يسببها نزاع عائلي. (انظر: دور المرأة المسلمة في المجتمع ص٤٦).

ج - دراسة أمريكية جرت في عام ١٤٠٧هـ أشارت إلى أن ٧٩٪ من الرجال يقومون بضرب النساء، وبخاصة إذا كانوا متزوجين بهن.

د - وفي دراسة أعدها المكتب الوطني الأمريكي للصحة النفسية جاء أن ١٧٪ من النساء اللواتي يدخلن غرف الإسعاف ضحايا ضرب الأزواج أو الأصدقاء، وأن ٨٣٪ دخلن المستشفيات سابقًا مرة على الأقل للعلاج من جروح وكدمات أصبن بها كان دخولهن نتيجة الضرب.

وقال إفان ستارك مُعدّ هذه الدراسة التي فحصت (١٣٦٠) سجلاً للنساء: إن ضرب النساء في أمريكا ربما كان أكثر الأسباب شيوعًا للجروح التي تُصاب بها النساء، وأنها تفوق ما يلحق بهن من أذى نتيجة حوادث السيارات، والسرقة، والاغتصاب مجتمعة.

وقالت جانيس مو- وهي منسقة في منظمة الائتلاف الوطني ضد العنف المنزلي ومقرها واشنطن: إن هذه المأساة المرعبة وصلت إلى حد هائل، فالأزواج يضربون نساءهم في سائر أنحاء الولايات المتحدة، مما يؤدي إلى دخول عشرات منهن إلى المستشفيات للعلاج.

وأضافت بأن نوعية الإصابات تتراوح ما بين كدمات سوداء حول العينين، وكسور في العظام، وحروق وجروح، وطعن بالسكين، وجروح الطلقات النارية، وما بين ضرب أخرى بالكراسي، والسكاكين، والقضبان المحماة.

وبعدُ، فإننا في غنى عن ذكر تلك الإحصاءات؛ ولكن نفرًا من بني جلدتنا غير قليل لا يقع منهم الدليل موقعه إلا إذا نُسب إلى الغرب وما جرى مجراه، فها هو الغرب تتعالى صيحاته من ظلم المرأة، فهل من مدكر؟!

نسأل الله أن يصلح أحوالنا، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

فقر المشاعر بين الجيران

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعدُ:

فقد تحدثنا في المقال السابق عن منزلة الجار في الإسلام، وقلنا: إن الوصاية بالجار تشمل كف الشر عنه، وإسداء الخير إليه، وتحدثنا عمن فرط في حق الجار، وذكرنا مظاهر عديدة منها: مضايقة الجار، واحتقاره والسخرية منه، وإيذاؤه بالجَلَبة، وقلة المشاركة العاطفيّة للجيران، ونكمل ما بدأناه فنقول:

الحلقة الثانية

إعداد: د. محمد إبراهيم الحمد

٥- قلة التهادي بين الجيران: فالجيران يحصل بينهم- بحكم القرب- ما يحصل من الهفوات والزلات، وما شاكل ذلك، فيحتاجون إلى ما يقوي أواصر العلاقة فيما بينهم، وإلى ما يذيب أسباب الفرقة والعداوة، والظنون السيئة.

ومع عظم شأن الهدية، ومع حاجة الجيران إليها أن من الناس من لا يأبه بها، فربما مرت الأعوام تلو الأعوام، وربما حدثت مشكلات بين الجيران، ومع ذلك لا يبادر أحد منهم بالهدية، بل ربما مرت الأعمار دون تهادٍ بين الجيران.

ومن هنا تضعف حبال المودة، وتتصرم عرى المحبة بين الجيران، فيحسن بالجيران أن يتهادوا فيما بينهم، وأن يتعاهدوا بالهدية الأقرب بالأقرب، جاء في صحيح البخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت: قلت: يا رسول الله، إني لي جارين، فإلى أيهما أهدي؟ قال: «إلى أقربهما منك بابًا». (البخاري: ٢٢٥٩).

قال ابن حجر رحمه الله: «وقوله: «أقربهما» أي أشدهما قربًا.

قيل: الحكمة فيه أن الأقرب يرى ما يدخل بيت جاره من هدية وغيرها، فيتشوف لها؛ بخلاف الأبعد، وأن الأقرب أسرع إجابة لما يقع لجاره من المهمات، ولا سيما في أوقات الغفلة.

٦- التكبر عن قبول هدية الجار: فمن الناس من يتكبر عن قبول الهدية من جاره، وذلك إذا كانت يسيرة قليلة، أو كانت من جار فقير أو وضيع.

وهذا من الكبر المذموم، ومما يورث البغضاء والشحناء، وجرح شعور الجار.

فاللائق بالجار أن يقبل هدية جاره ولو قلّت، فالهدية لا تقدر بقيمتها، وإنما تقدر بمعناها.

وإذا قبلت الهدية من الجار أفرحته، وأشعرته بتواضعك ومحبتك له. قال النبي صلى الله عليه وسلم: «يا نساء المؤمنات، لا تحقرن جارة لجارتها ولو فرسن شاة». (صحيح مسلم بشرح النووي ٧/٩٨، ٩٩).

الفرسن بكسر الفاء، وسكون الراء، وكسر السين ثم نون: هو العظم قليل اللحم، وهو خف البعير أيضًا، وقد يستعار للشاة. قال النووي رحمه الله في هذا الحديث: «ومعناه: لا تمنع جارة من الصدقة والهدية لجارتها؛ لاستقلالها واحتقارها الموجود عندها، بل تجود بما تيسر وإن كان قليلاً كفرسن شاة، وهو خير من العدم، وقد قال الله تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ (الزلزلة:٧)». (صحيح مسلم بشرح النووي ٧/٩٩).

وبالجملة فالحديث يُستفاد منه فائدتان:

إحداهما: ألا تحقر المرأة شيئًا تهديه لجارتها ولو قل.

والأخرى: ألا تحتقر المرأة المُهْدَى إليها شيئًا ولو كان قليلاً أو حقيرًا.

وإنما خص النساء بالنهي لأمور منها:

أ- أن النساء يكثر منهن الاحتقار للمُهدى، أو المهدي.

ب- ولأن النساء أكثر اتصالاً بالجيران من الرجال؛ بحكم المكث والقرار.

جـ- ولأن النساء موارد المودة والبغضاء، والله أعلم. (انظر: فتح الباري ١٠/٤٥٩).

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

وللحديث بقية إن شاء الله

فقر المشاعر بين الطلاب والمعلمين

إعداد د. محمد إبراهيم الحمد

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعدُ:

الطلاب والمعلمون يمثلان شريحة كبرى من الناس، فأكثرهم ما بين مُعَلِّم ومتعلِّم، أو من قد كان كذلك.

ولا ريب أن هذا الميدان من أرحب الميادين للقاء والتأثير والفائدة سواء للأفراد أو للأمة.

ومع ذلك تجد أن لغة المشاعر تكاد تضمر عند بعض المنتسبين إلى هذا الميدان العظيم؛ فترى من بعض الطلاب قلةَ احترام للمعلمين، وتجد فيهم من يطلق لسانه في ثلبهم وعيبهم، وتجد مَن لا يحسن التعامل، ولا عرض السؤال، ولا التأدب بأدب التلقي عمومًا؛ فربما تأخر عن الدرس، وربما أحرج أستاذه بالأسئلة التي لا يريد من ورائها إلا التعنُّت، وربما أشاح بوجهه عن المعلم وهو يلقي الدرس، وربما اشتغل عن الدرس بجريدة أو كتاب أو محادثة مع زميل، والمعلم يراه وهو على هذه الحال.

فهذه مظاهر توحي بأن من يقع فيها لم يعرف حق العلم، ولم يتأدب بأدب أهله.

وهي- في الوقت نفسه- تُوهي حبال الود بين المعلمين والطلاب.

وكذلك تجد عند بعض المعلمين تعسفًا وشدة خارجة عن طورها، فتراه لا يلقي للطلاب بالاً، ولا يخاطبهم إلا بعبارات الاحتقار والتنقص والجفاء.

وما هكذا تورد الإبل، وما هكذا تكون العلاقة بين الطلاب ومعلمهم.

وإذا سارت على هذا النحو فما المنتظر من الجيل الذي يتربى على تلك المعاملة؟!

ولهذا فإنه جدير بالطلاب تبجيل معلميهم، واحترامهم، وإن كانوا ناقصين في نظرهم؛ فخذ- أيها الطالب- ما عند معلمك من خير، وعليك بتوجيهه، والدعاء له، والثناء عليه، وإلا فلا أقلَّ من أن تُقْصِرَ عن ذمِّه وعيبه.

ثم إذا أردت نقاشه في موضوع ما فليكن ذلك بأدب، وحسن تأتٍّ بعيدًا عن رَفع الصوت أو الإسفاف.

ثم إذا وقع معلمك في خطأ ما، وأردت لفت نظره إلى ذلك- فلا تقل له: أخطأت، أو نحو ذلك، ولا تفرح بخطئه، وإنما تأكد من ذلك، وليكن تنبيهك بأجمل عبارة، وألطف إشارة يدرك بها المعلم خطأه دون أن تشوش عليه قلبه.

ثم الزم أدب الطلب معه، فلا تقاطعه إذا تحدث، ولا تنشغل عنه إذا شرع في الدرس.

وإذا أردت أن تكسب الود، وتستولي على الأمد- فراع أدب المحادثة مع معلمك؛ فإذا شرع في حديث فلا تكمله، وإذا عجَّبك فاعجب، وإذا فكَّهك فاطرب، وإذا أفادك بفائدة فأظهر الفرح إلى غير ذلك مما تستجلب به المحبة، وتطرد السآمة والوحشة.

ثم إنه حقيقٌ على المعلمين أن يعوا جانب المشاعر الصادقة وأثرها، وأن يكونوا لطلابهم مثل الوالد مع الولد، فإذا أردت- أيها المعلم- أن يحبك طلابك فأحببهم، وإذا رغبت بأن يعاملوك وكأنك أب لهم فعاملهم وكأنهم أبناء لك، فإن من الطباع اللازمة للطلاب أنهم يحبون من يتحبب إليهم، ويميلون إلى من يحسن إليهم، ويأنسون بمن يعاملهم بالرفق، ويقابلهم بالبشاشة والبشر، فما لم يشعر الطالب أن معلمه يحبه، ويحب الخير له فلن يُقبل على التلقي منه، ولو أيقن أن الخير عنده، وأي خير يمكن أن يتم بغير حب؟

فجدير بالمربي الحاذق المخلص، إذا أراد أن يصل إلى نفوس طلابه من أقرب طريق، وأن يصلح نزعاتهم بأيسر كلفة، وأن يحملهم على طاعته وامتثال أمره بأسهل وسيلة، أن يتحبب إليهم، ويقابلهم بوجه متهلل، ويبادلهم التحية بأحسن منها، ويحادثهم بلطف وبشاشة، ويظهر لهم من الحنان والعطف ما يحملهم على محبته، فإذا أحبوه أطاعوا أمره، وإذا أطاعوا أمره وصل في توجيههم في الصالحات إلى ما يريد، وتمكن من حملهم على الاستقامة، وطبْعهم على الخير والفضيلة.

فإذا ملك نفوسهم بهذه الطريقة حبب إليهم المدرسة، والقراءة والعلم، فالطالب لا يفلح في التربية، ولا ينجح في الدراسة إلا إذا أحب معلمه حبَّه أبويه، وأحب المدرسة حبه بيته، وكثيراً ما ترى من الطلاب الذين يربيهم معلموهم على هذه الطريقة الحكيمة يباهي أحدهم تِرْبَه بقِسْمه ومعلمه، ويباهي زميله من مدرسة أخرى بمدرسته كما يتباهون في العادة بالآباء والبيوت، وما ذلك إلا أثر من آثار المعاملة من المعلم.

هذا ومما يرسخ المحبة وينميها بين المعلم وطلابه زيادة على ما مضى ما يلي:

أ- العناية بمصالح الطلاب وأحوالهم؛ قال ابن جماعة- رحمه الله-: (وينبغي أن يعنى بمصالح الطالب)، وقال: (ويؤنسهم بسؤالهم عن أحوالهم وأحوال من يتعلق بهم).

ب- الصبر على بعض ما يصدر من الطلاب؛ فإن لذلك أثراً في محبة الطلاب لمعلمهم، إذ يدركون أن ذلك نابع من محبته لهم، وشفقته عليهم.

قال الإمام النووي-رحمه الله-: (ويجريه مجرى ولده في الشفقة عليه، والصبر على جفائه، وسوء أدبه، ويعذره في سوء أدب وجفوة تعرض منه في بعض الأحيان، فإن الإنسان معرض للنقائص). (تذكرة السامع ص٨٩).

ج- احترام الطلاب ومراعاة مشاعرهم؛ فالمعلم النبيل ذو المروءة والأدب هو من يحترم طلابه، ويراعي مشاعرهم، فلا يؤذيهم بكلمة، أو إشارة، بل يحفظ عليهم عزتهم وكرامتهم طالما أنهم يسيرون على حد الأدب.

قال ابن عباس- رضي الله عنهما-: (أعزِ الناس عليَّ جليسي الذي يتخطى الناس إليَّ، أما والله إن الذباب يقع عليه فيشق عليَّ) (عيون الأخبار ١/٣٠٧).

ولقد كان رسول الله- صلى الله عليه وسلم- أكرم الناس لجلسائه، فقد كان يعطي كل واحد منهم نصيبه، ولا يحسب جليسه أن أحداً أكرم عليه منه.

د- التعرف على أسماء الطلاب؛ لأن ذلك يشعرهم بقيمتهم واعتبارهم.

قال ابن جماعة- رحمه الله-: (وينبغي أن يستعلم أسماءهم، وأنسابهم، ومواطنهم، وأحوالهم). (تذكرة السامع ص١٠٠).

هـ- مخاطبتهم بكناهم وأحب الأسماء إليهم؛ وفي هذا مزيد احترام وتقدير لهم.

قال ابن جماعة: (وينبغي أن يخاطب كلا منهم ولا سيما الفاضل المتميز بكنيته ونحوها من أحب الأسماء إليه، وما فيه له تعظيم وتوقير، فعن عائشة- رضي الله عنها- (كان رسول الله- صلى الله عليه وسلم- يكني أصحابه، إكراماً لهم) (تذكرة السامع ص١٠٧).

و- استشارتهم ببعض الأمور؛ فذلك مما يزرع الثقة في نفوس الطلاب، ومما ينمي الألفة والمحبة بينهم وبين معلمهم.

ز- معرفة الطبائع وفهم العقليات؛ فبذلك تعامل الطالب بما يوائمه، وتعالجه بالدواء الذي يلائمه.

ح- صفاء السريرة للطلاب؛ فإذا كان المعلم صافي السريرة سليم الصدر للطلاب أحبه الطلاب، وعلموا منه الإخلاص لهم، والرحمة بهم، ولو كان يؤدبهم ويعاقبهم على أخطائهم.

فلا ينبغي أن يستهان بإضمار المحبة للطلاب والشفقة عليهم، بحجة أنهم لا يدركون ذلك. لا، بل إنهم يدركون ويميزون، ويلحظون ذلك من نظرات العيون.

هذه بعض الأمور التي تحبب المعلم لطلابه، وتحببهم به، فإذا أحببت الطلاب وأحبوك وجدت سعادتك بينهم أكثر مما تجدها في البيت وبين الأصحاب.

وإليك نبذة عن أحوال المعلمين مع الطلاب، وأحوال الطلاب مع المعلمين فقد روى الذين دوّنوا ترجمة الإمام الفاتح أسد بن الفرات، أنه لما كان يأخذ العلم عن الإمام محمد بن الحسن الشيباني، تلميذ الإمام أبي حنيفة كان الإمام محمد بن الحسن إذا رأى تلميذه أسد بن الفرات غلب عليه النوم وهو يسهر في تلقي العلم عنه نضح على وجهه من الماء، ليجدد له نشاطه، شفقة منه عليه، ورغبة منه في أن ينهض إلى مستوى الإمامة في العلم.

وللحديث بقية إن شاء الله، والحمد لله رب العالمين.

تهنئة واجبة

حصلت الباحثة الدكتوره إيمان السيد أحمد محمد عفيفي، على درجة الماجستير بامتياز مع مرتبة الشرف من كلية الطب جامعة الزقازيق، وذلك في الرسالة المقدمة بعنوان: «تقييم مستويات الزنك في الدم للأطفال ذوي الحالات الحرجة»، وقد تكونت لجنة التحكيم على الرسالة والمناقشة من كلٍّ من:

أ.د/ شريفة عبد العزيز حسن.

أ.د/ نهاد أحمد كرم.

أ.د/ غادة سعد عبد المطلب.

أ.د/ داليا عبد اللطيف.

أ.د/ إيمان عبد القادر عبد السلام.

وأسرة مجلة التوحيد تهنئ الأخت الباحثة، وتتمنى لها مزيدًا من التوفيق والرقي والتقدم.

رئيس التحرير

الحلقة الثانية

فقر المشاعر بين الطلاب والمعلمين

د. محمد إبراهيم الحمد

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد:

فقد تحدثنا في المقال السابق عما ينبغي أن يكون عليه المعلمون لطلابهم، وأن يكونوا مثل الوالد مع ولده، وأوردنا ما يرسِّخ المحبة وينمِّيها بين المعلم والطلاب، وقلنا: إذا أحببت الطلاب وأحبوك وجدتَ سعادتك بينهم أكثر مما تجدها في البيت بين الأصحاب، ثم أوردنا نبذة عن أحوال المعلمين مع الطلاب، وأحوال الطلاب مع المعلمين، ثم ضربنا مثالاً لذلك لترجمة الإمام الفاتح أسد بن الفرات، وقلنا: إنه لما كان يأخذ العلم عن الإمام محمد بن الحسن الشيباني، تلميذ الإمام أبي حنيفة كان الإمام محمد بن الحسن إذا رأى تلميذه أسد ابن الفرات غلب عليه النوم وهو يسهر في تلقي العلم عنه نضح على وجهه الماء، ليجدد له نشاطه، شفقةً منه عليه، ورغبةً منه في أن ينهض إلى مستوى الإمامة في العلم.

ونقول: لولا أن محمد بن الحسن تأدب بأدب الإسلام، وعمل بالمبدأ المحمدي في أن يكون لتلميذه كما يكون الوالد لولده لانتهز فرصة غلبة النوم على تلميذه، وأرجأ الدرس إلى الليلة الثانية، هذا مع ما عُلم من مقام الإمام محمد بن الحسن في الدولة، وكثرة أعماله العلمية، لكنه لما كان يعلم أن من أدب الإسلام أن يكون التلميذ بمنزلة الولد من الوالد التزم مع أسد بن الفرات هذا الأدب الرحيم، وكان من نتيجة ذلك نبوغُ أسد بن الفرات وقيامه للملة الإسلامية بما لا يقوم بمثله إلا أفذاذ النوابغ من صفوة البشر.

ويقصُّ علينا التاريخ أن في الأساتذة من يحرص على أن يرتقي طلابه في العلم إلى الذروة، ولا يجد في نفسه حرجاً من أن يظهر عليه أحدهم في بحث أو محاورة.

يذكرون أن العلامة أبا عبد الله الشريف التلمساني كان يحمل كلام الطلبة على أحسن وجوهه، ويبرزه في أحسن صوره.

ويروى أن أبا عبد الله هذا كان قد تجاذب

مع أستاذه أبي زيد ابن الإمام الكلام في مسألة، وطال البحث اعتراضًا وجوابًا، حتى ظهر أبو عبد الله على أستاذه أبي زيد، فاعترف له الأستاذ بالإصابة، وأنشد مداعبًا:

أعلمه الرماية كل يوم

فلما اشتد ساعده رماني

والذي يقرأ مثل هذه السِّيَر تهتز في نفسه عاطفة احترام لمن أقر بالخطأ، أو اعترف لخصمه بخصلة حمد، وربما كان إكبارهم لمن أقر بالخطأ فوق إكبارهم لمن خالفه فأصاب، وسببُ هذا الإكبار عظمة الإنصاف، وعزة من يأخذ نفسه بها في كل حال.

وهذا الشيخ ابن التلمساني، أحد كبار علماء شمال إفريقيا سأله السلطان عن مسألة فقال: إن تلميذي فلانًا يُحْسِن الجواب عنها، فوجَّه السلطان السؤال إلى تلميذ ابن التلمساني، فأحسن الجواب، فأجازه وأحسن منزلته، وكان ابن التلمساني أعلم من تلميذه فيما سأله عنه السلطان، لكنه، لاعتباره تلميذه بمنزلة ولده أراد أن ينوِّه به في حضرة السلطان كما لو كان ولده حقًا.

والطلبة في دستور الإسلام عرفوا كيف يقابلون هذا العطف الأبوي من أساتذتهم بما يكافئه من حرمة ومحبة وإجلال، ومن أقدم الأمثلة على ذلك ما رواه الشعبي، أن زيد بن ثابت رضي الله عنه صلى على جنازة، ثم قربت إليه بغلته ليركبها، فبادر إليه عبد الله بن عباس، فأخذ بزمام البغلة، ليساعده على الركوب، فقال له زيد: خَلِّ عنه يا ابن عم رسول الله، فأجابه ابن عباس- رضي الله عنهما-: هكذا أمرنا أن نفعل بالعلماء.

وقد حافظت ذرية ابن عباس على هذا الأدب من التلاميذ نحو أساتذتهم بعد أن صار بنو العباس ملوك الدنيا، فقد نقل برهان الإسلام الزرنوجي، في كتاب تعليم المتعلم طرق التعلم: (أن أمير المؤمنين هارون الرشيد بعث ابنه إلى الأصمعي، ليعلِّمه العلم والأدب، فرآه يومًا يتوضأ ويغسل رجله، وابن الخليفة يصبُّ الماء على رِجْله، فعاتب الخليفة الأصمعي

بقول: إنما بعثته إليك لتعلمه وتؤدِّبه، فلماذا لم تأمره بأن يصبَّ الماء بإحدى يديه، ويغسل بالأخرى رجلك؟

فانظر كيف رأى أنَّ تقصير ابنه في ذلك تقصيرٌ في أدب التلميذ مع أستاذه.

وقد علِمنا من سيرة ابن خلدون أنه لما رُزِئَ بوفاة كبار شيوخه وكان منهم القاضي محمد ابن عبد السلام، والرئيس أبو محمد الحضرمي، والعلامة محمد بن إبراهيم الأبلي، ضاق به وطنه، فترك مقامه الوجيه الذي وصل إليه في قصر الإمارة، ورحل عن تونس إلى الجزائر والمغرب الأقصى؛ لأن مقام أساتذته كان في نفسه فوق كل مقام.

وهذه المحبة الصحيحة التي يكنُّها التلميذ لأستاذه هي التي حملت العالم أحمد بن القاضي على أن يقول في شيخه المنجوري: (وصارت الدنيا تصغر بين عيني، كلما ذكرت أكل التراب للسانه، والدود لبنانه).

إن هذا الأدب الإسلامي الذي جعل من الطلبة أبناء للأساتذة كفلذات أكبادهم، وجعل من الأساتذة آباء لتلاميذهم يعطفون عليهم أكثر من عطف الآباء على أبنائهم، هو الأدب اللائق بنا أن نرجع إليه لنجدد في تاريخنا عهدًا سعيدًا، فننعم به ونسعد بنعمته، والطلبة الذين يكتسبون من دراستهم مثل هذا الأدب ينالون به من السعادة أضعاف ما ينالون به من دراسة العلم مهما تقدموا فيه.

وللحديث بقية إن شاء الله، والحمد لله رب العالمين.

بعض مظاهر فقر المشاعر

إعداد د. محمد إبراهيم الحمد

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين، وبعد:

فمن مظاهر فقر المشاعر: قلة مراعاة مشاعر الآخرين حال تقديم النصيحة، فتجد بعض الناصحين لا يُلبس نصيحته أثوابًا ملائمة لأحوال المنصوحين، ولا يبالي بأقدارهم، ومنازلهم؛ بل ربما ألقاها جزافًا دون تلطف، وحسن مدخل وتأتٍ.

وقل مثل ذلك في حال بعض المنصوحين؛ حيث تراهم يردون النصيحة، ويُزْرُونَ بالناصح.

وكم سُقتَ في آثارهم من نصيحة
وقد يستفيدُ البَغْضَةَ المُتنصِّحُ

ومن ذلك: قلة المراعاة لمشاعر العمال، والغرباء، والصغار، والمرؤوسين، وذلك باحتقارهم، أو هَضْم حقوقهم، أو ما شاكل ذلك.

ومن هذا القبيل أيضًا: قلة مراعاة المخالفين حال الرد والمناقشة أو المجادلة، ولا يعني ذلك ترك الرد أو قوة الحجة فيه، وإنما المقصود من ذلك ما يكون من الظلم، والزيادة، والبغي، والاستطالة.

ومن ذلك قلة المراعاة لمشاعر المراجعين والجمهور من قِبَل بعض الموظفين؛ حيث يستقبلونهم بتثاقل، وبرود، ويقدمون لهم الخدمة بمنّة وتباطؤ.

ومن ذلك: قلة المراعاة لحقوق الأخوة والصداقة، كقلة التعاهد، والتزاور، وكالجفاء، وكثرة التجني، وما جرى مجرى ذلك.

ومن ذلك: قلة المراعاة لمشاعر المريض أثناء زيارته، كحال من يذم الطبيب الذي يعالج المريض، أو الذي أجرى له العملية الجراحية، أو كحال من إذا زار المرضى أن يذكر لهم أقوامًا أصيبوا بمثل ما أصيبوا به فماتوا.

ومن مظاهر فقر المشاعر: ما يقع بين جماعة المسجد الواحد؛ فهم يجتمعون لأشرف الغايات، ألا وهي عبادة الله عز وجل بأداء الصلاة، وليحققوا مقصدًا من أعظم مقاصد الدين ألا وهو الاجتماع، والألفة، والمحبة.

ومع ذلك: نجد جماعة بعض المساجد لا يرعون هذا الجانب، فنجد أن العلاقة بين الإمام والمؤذن وجماعة المسجد ضعيفة أو معدومة، بل ربما شاع بينهم كثرة الانتقاد، وكثرة اللوم والعتاب، وربما شاع بينهم القطيعة وسوء ذات البين.

وهذا مصداق قول النبي صلى الله عليه وسلم: «إن الشيطان قد أيس أن يعبده المصلون في جزيرة العرب، ولكن في التحريش بينهم». (رواه مسلم: ٢٨١٢).

فالذي ينبغي لهؤلاء أن يقطعوا على الشيطان طريقه، وألا يسترسلوا مع الظنون السيئة؛ فينبغي للإمام أن يراعي مأموميه، وأن يرفق بهم، وأن يتحمل بعض ما يصدر منهم من جفاء، أو كثرة اقتراحات، أو انتقاد.

كما ينبغي أن يُنزلهم منازلهم، وأن يبادرهم بالسلام والتحية، خصوصًا كبار السن، ومن لهم قَدْر وجاه.

كما عليه أن يراعي مشاعر الصغار، والمقصرين، وأن يأخذ بأيديهم إلى الصلاح.

كما عليه أن يحفظ عرضه وذلك بالانضباط، والاعتذار حال المغيب، وأن يوكل الكفء إذا كان لديه عذر.

وعلى المؤذن مثل ما على الإمام، وعليه أن يحسن علاقته بالإمام والمأمومين، وعليهما أن يهيئا جوَّ الخشوع والراحة للمصلين.

وبالمقابل فعلى جماعة المسجد أن يلتمسوا العذر للإمام والمؤذن في بعض الأمور، وعليهم المناصحة بالتي هي أحسن.

وإذا وُفِّقوا لإمام عاقل فليعضوا عليه بالنواجذ، وإذا رأوا من بعضهم إساءة في حقه فليوقفوا ذلك المسيء عند حده.

وعلى كل حال؛ فالمسألة تحتاج إلى بَسْط، ولعل الله ييسر ذلك.

وبالجملة: فإن مظاهر فقر المشاعر كثيرة وكل واحد مما مضى يحتاج إلى بسط وتفصيل وعلاج.

ولعل الإشارة تغني، حتى لا يطول بنا الحديث، والحمد لله رب العالمين.

فقر المشاعر
الارتقاء بالمشاعر

إعداد د. محمد إبراهيم الحمد

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، أما بعدُ:

فهناك أسباب عديدة توصِّل إلى إحياء المشاعر، والرقي بها، وتقطع دابر الجفاء، وتزيل علله وأدواءه.

ومما تحيا به المشاعر وترتقي ما يلي:

١- استشعار الأخوة الإسلامية: قال الله عز وجل: «إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ» (الحجرات: ١٠).

وقال صلى الله عليه وسلم: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه». (رواه البخاري: ١٣، ومسلم: ٤٥).

والحديث في هذا السياق معلوم؛ ولذا لا يحتاج إلى التطويل.

وربما وردت إليه إشارات فيما سيأتي.

٢- استعمال الثناء الصادق المعتدل: فذلك مما يشعر الإنسان بقيمته، ويهزه إلى المكارم هزًّا، فيقوده إلى الصفح، والعفو، وإحسان الظن، والبذل.

كما أنه دليل على كرم سجية المادح، وعلى بعده عن الأثرة والشح؛ فهو من قبيل الكلمة الطيبة، والكلمة الطيبة صدقة.

ولا ريب أن هذه المعاني من أعظم ما يرتقي بالمشاعر، ويحفظ للناس أقدارهم، وينأى بهم عن السفاسف والمحقرات.

بل إن كرام الناس إذا مُدحُوا أبت لهم هِمَمهم أن يكونوا دون ما مدحوا به؛ فمن ذلك ما حكي أن هارون الرشيد لما سمع قول الشاعر:

تراه في الأمن في درع مضاعفة
لا يأمن الدهر أن يُدعى على عَجَل

سأل عنه وعمن قيل فيه، فقيل له: لمسلم بن الوليد الشاعر، في قائد الجيوش يزيد بن مزيد الشيباني- وكان يزيد يقول للرشيد: والله يا أمير المؤمنين، لأحرصن على ألا أكذب شعرائي فيما يمدحونني به- فأمر الرشيد بإحضار يزيد على الحالة التي يُصادف عليها، فأحضروه وعليه ثياب خلوته مُلونة، فلما نظر إليه الرشيد في تلك الحالة، قال: أكذبت شاعرك يا يزيد! قال: فيم يا أمير المؤمنين؟ قال في قوله:

تراه في الأمن في درع مضاعفة
لا يأمن الدهر أن يدعى على عجل

فقال يزيد: لا والله يا أمير المؤمنين، ما أكذبته، وإن الدرع عليَّ ما فارقتني، وكشف ثيابه، وإذا عليه درع مظاهرة. (نوادر في الأدب لمحمد المكي بن الحسين ص٩٤).

بل إن الثناء الصادق مما تنشرح له صدور العظماء، ويشعرهم بصواب ما هم عليه، ويقودهم إلى مزيد من الخير والإحسان، ويسد عليهم باب الكسل الذي يواجههم به المخذلون، والمبالغون في النقد.

ولهذا سلكت هداية القرآن الكريم هذا المهيع؛ فكم هي الآيات التي ورد فيها الثناء من الرب الكريم- جل وعلا- على بعض عباده الصالحين؟

إنها كثيرة جدًا، منها قوله تعالى في الثناء على

نوح عليه السلام: «ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا» (الإسراء:٣).

وقوله تعالى في حق إبراهيم عليه السلام: «إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ» (هود:٧٥).

وقوله: «إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ شَاكِرًا لِأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ» (النحل:١٢٠، ١٢١).

وقوله تبارك وتعالى في حق سليمان عليه السلام: «وَوَهَبْنَا لِدَاوُودَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ» (ص:٣٠).

وقوله في حق أيوب عليه السلام: «إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ» (ص:٤٤).

وقوله في حق نبينا محمد صلى الله عليه وسلم: «وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ» (القلم:٤).

أما السنة النبوية فحافلة في هذا المقام، ولو ألقيت نظرة في دواوينها وفي كتب المناقب منها على وجه الخصوص لرأيت عجبًا، وإليك طرفًا من ذلك.

جاء في الصحيحين عَنْ سَلَمَةَ بْنِ الْأَكْوَعِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ كَانَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ تَخَلَّفَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي خَيْبَرَ، وَكَانَ بِهِ رَمَدٌ فَقَالَ: أَنَا أَتَخَلَّفُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَخَرَجَ عَلِيٌّ، فَلَحِقَ بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَمَّا كَانَ مَسَاءُ اللَّيْلَةِ الَّتِي فَتَحَهَا فِي صَبَاحِهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ، أَوْ قَالَ لَيَأْخُذَنَّ غَدًا رَجُلٌ يُحِبُّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، أَوْ قَالَ يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَيْهِ؛ فَإِذَا نَحْنُ بِعَلِيٍّ، وَمَا نَرْجُوهُ. فَقَالُوا: هَذَا عَلِيٌّ، فَأَعْطَاهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فَفَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ.

وجاء في صحيح البخاري: عن عَمْرِو بْنُ تَغْلِبَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُتِيَ بِمَالٍ أَوْ سَبْيٍ فَقَسَمَهُ فَأَعْطَى رِجَالًا وَتَرَكَ رِجَالًا فَبَلَغَهُ أَنَّ الَّذِينَ تَرَكَ عَتَبُوا، فَحَمِدَ اللَّهَ ثُمَّ أَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: أَمَّا بَعْدُ فَوَاللَّهِ إِنِّي لَأُعْطِي الرَّجُلَ وَأَدَعُ الرَّجُلَ، وَالَّذِي أَدَعُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الَّذِي أُعْطِي، وَلَكِنْ أُعْطِي أَقْوَامًا لِمَا أَرَى فِي قُلُوبِهِمْ مِنَ الْجَزَعِ وَالْهَلَعِ، وَأَكِلُ أَقْوَامًا إِلَى مَا جَعَلَ اللَّهُ فِي قُلُوبِهِمْ مِنَ الْغِنَى وَالْخَيْرِ فِيهِمْ عَمْرُو بْنُ تَغْلِبَ، فَوَاللَّهِ مَا أُحِبُّ أَنَّ لِي بِكَلِمَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حُمْرَ النَّعَمِ. (البخاري: ٢٩٧٥، ومسلم: ٢٤٠٧).

فانظر إلى هذا الثناء، وانظر إلى أثره في عمرو بن تغلب رضي الله عنه حتى إنه استغنى أن يطلب مالاً، فكانت هذه الكلمة أحب إليه من حُمر النعم، وهي أنفس ما كانت عند العرب.

وجاء في الصحيحين: عَنْ سَالِمٍ عَنْ أَبِيهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ كَانَ الرَّجُلُ فِي حَيَاةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا رَأَى رُؤْيَا قَصَّهَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَتَمَنَّيْتُ أَنْ أَرَى رُؤْيَا فَأَقُصَّهَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَكُنْتُ غُلَامًا شَابًّا وَكُنْتُ أَنَامُ فِي الْمَسْجِدِ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَرَأَيْتُ فِي النَّوْمِ كَأَنَّ مَلَكَيْنِ أَخَذَانِي فَذَهَبَا بِي إِلَى النَّارِ، فَإِذَا هِيَ مَطْوِيَّةٌ كَطَيِّ الْبِئْرِ، وَإِذَا لَهَا قَرْنَانِ وَإِذَا فِيهَا أُنَاسٌ قَدْ عَرَفْتُهُمْ، فَجَعَلْتُ أَقُولُ أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ النَّارِ، قَالَ فَلَقِيَنَا مَلَكٌ آخَرُ، فَقَالَ لِي لَمْ تُرَعْ فَقَصَصْتُهَا عَلَى حَفْصَةَ فَقَصَّتْهَا حَفْصَةُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ نِعْمَ الرَّجُلُ عَبْدُ اللَّهِ لَوْ كَانَ يُصَلِّي مِنَ اللَّيْلِ فَكَانَ بَعْدُ لَا يَنَامُ مِنَ اللَّيْلِ إِلَّا قَلِيلًا. (البخاري: ١١٢١، ١١٢٢، ومسلم: ٢٤٧٩).

وجاء في الصحيحين من حديث أسماء بنت عميس الطويل في الهجرة وما دار بينها وبين عمر بن الخطاب، وفيه:

قال: «لَيْسَ بِأَحَقَّ بِي مِنْكُمْ وَلَهُ وَلِأَصْحَابِهِ هِجْرَةٌ وَاحِدَةٌ وَلَكُمْ أَنْتُمْ أَهْلَ السَّفِينَةِ هِجْرَتَانِ».

قالت: قَالَتْ فَلَقَدْ رَأَيْتُ أَبَا مُوسَى وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ يَأْتُونِي أَرْسَالًا يَسْأَلُونِي عَنْ هَذَا الْحَدِيثِ مَا مِنَ الدُّنْيَا شَيْءٌ هُمْ بِهِ أَفْرَحُ وَلَا أَعْظَمُ فِي أَنْفُسِهِمْ مِمَّا قَالَ لَهُمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قَالَ أَبُو بُرْدَةَ: قَالَتْ أَسْمَاءُ فَلَقَدْ رَأَيْتُ أَبَا مُوسَى، وَإِنَّهُ لَيَسْتَعِيدُ هَذَا الْحَدِيثَ مِنِّي. (البخاري: ٤٢٣٠، ٤٢٣١، ومسلم: ٢٥٠٢).

وجاء في الصحيحين: عَنْ أَبِي مُوسَى قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنِّي لَأَعْرِفُ أَصْوَاتَ رُفْقَةِ الْأَشْعَرِيِّينَ بِالْقُرْآنِ حِينَ يَدْخُلُونَ بِاللَّيْلِ وَأَعْرِفُ مَنَازِلَهُمْ مِنْ أَصْوَاتِهِمْ بِالْقُرْآنِ بِاللَّيْلِ وَإِنْ كُنْتُ لَمْ أَرَ مَنَازِلَهُمْ حِينَ نَزَلُوا بِالنَّهَارِ وَمِنْهُمْ حَكِيمٌ إِذَا لَقِيَ الْخَيْلَ أَوْ قَالَ الْعَدُوَّ قَالَ لَهُمْ إِنَّ أَصْحَابِي يَأْمُرُونَكُمْ أَنْ تَنْظُرُوهُمْ. (البخاري: ٤٢٣٢، ومسلم: ٢٤٩٩).

فهذه أمثلة يسيرة من السنة، والمقام لا يحتمل الإطالة في ذلك، وإنما إشارات يتبين من خلالها أن الثناء الصادق سنة متبعة، وأن له آثاره الحميدة. وللحديث بقية إن شاء الله تعالى.

فقر المشاعر

بعض مظاهر فقر المشاعر

إعداد د. محمد إبراهيم الحمد

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين، وبعد:

فقد تحدثنا في أعداد سابقة عن الارتقاء بالمشاعر.

مظاهر أخرى لفقر المشاعر

فمن ذلك قلة المراعاة للمشاعر حال تقديم النصيحة، فتجد بعض الناصحين لا يُلبس نصيحته أثوابًا ملائمة لأحوال المنصوحين، ولا يبالي بأقدارهم، ومنازلهم، بل ربما ألقاهم جزافًا دون تلطف، وحسن مدخل وتأت.

وقل مثل ذلك في حال بعض المنصوحين؛ حيث تراهم يردُّون النصيحة، ويزرون بالناصح.

وكم سقت في آثارهم من نصيحة

وقد يستفيد البغضة المتنصح

ومن ذلك قلة المراعاة لمشاعر العُمَّال، والغرباء، والصغار، والمرؤوسين، وذلك باحتقارهم، أو هضم حقوقهم أو ما شاكل ذلك.

ومن هذا القبيل قلة المراعاة للمخالفين والخصوم حال الردّ والمناقشة أو المجادلة، ولا يعني ذلك ترك الرد أو قوة الحُجَّة فيه، وإنما المقصود من ذلك ما يكون من الظلم، والزيادة، والبغي، والاستطالة.

ومن ذلك قلة المراعاة لمشاعر المراجعين من قِبَل بعض الموظفين؛ حيث يستقبلونهم بتثاقل، وبرود، ويقدمون لهم الخدمة بمنّة وتباطؤ.

ومن ذلك قلة المراعاة لحقوق الأخوة والصداقة، كقلة التعاهد، والتزاور، والجفاء، وكثرة التجنّي، وما جرى مجرى ذلك.

ومن ذلك قلة المراعاة لمشاعر المريض أثناء زيارته، كحال مَن يذم الطبيب الذي يعالج المريض، أو الذي أجرى له العملية الجراحية، أو كحال من إذا زار المرضى أن يذكر لهم أقوامًا أصيبوا بمثل ما أصيبوا به فماتوا.

ومن مظاهر فقر المشاعر ما يقع بين جماعة المسجد الواحد؛ فهم يجتمعون لأشرف الغايات ألا وهي عبادة الله عز وجل بأداء الصلاة، وليحققوا مقصدًا من أعظم مقاصد الدين ألا وهو الاجتماع، والألفة، والمحبة.

ومع ذلك تجد جماعة بعض المساجد لا يراعون هذا الجانب؛ فتجد أن العلاقة بين الإمام والمؤذن وهذا مصداق قول النبي صلى الله عليه وسلم: «إن الشيطان قد أيس أن يعبده المصلون في جزيرة العرب، ولكن في التحريش بينهم». (رواه مسلم ٢٨١٢).

فالذي ينبغي لهؤلاء أن يقطعوا على الشيطان طريقه، وألا يسترسلوا مع الظنون السيئة، فينبغي للإمام أن يراعي مأموميه، وأن يرفق بهم، وأن يتحمل بعض ما يصدر منهم من جفاء، أو كثرة اقتراحات، أو انتقاد.

كما ينبغي أن يُنزلهم منازلهم، وأن يبادرهم بالسلام والتحية، خصوصًا كبار السن، ومن لهم قدر وجاه.

كما عليه أن يراعي مشاعر الصغار، والمقصرين، وأن يأخذ بأيديهم إلى الصلاح.

كما عليه أن يحفظ عرضه وذلك بالانضباط، والاعتذار حال المغيب، وأن يوكل الكفء إذا كان لديه عذر.

والله من وراء القصد.

الأسباب المعينة على الارتقاء بالشاعر

إعداد د. محمد إبراهيم الحمد

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين، وبعدُ:

فهناك أسباب عديدة تُعين على إحياء المشاعر، والرقي بها، وتقطع دابر الجفاء، وتزيل علله وأدواءه.

ومما تحيا به المشاعر ما يلي:

١- استشعار الأخوة الإسلامية:

قال الله عز وجل: «إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ» (الحجرات: ١٠).

وقال صلى الله عليه وسلم: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب نفسه». (البخاري: ١٣، ومسلم: ٤٥).

والحديث في هذا السياق معلوم، ولذا لا يحتاج إلى التطويل.

وربما وردت إليه إشارات فيما سيأتي.

٢- استعمال الثناء الصادق المعتدل:

فذلك مما يُشعر الإنسان بقيمته، ويهزّه إلى المكارم هزًّا؛ فيقوده إلى الصفح، والعفو، وإحسان الظن، والبذل.

كما أنه دليل على كرم سجية المادح، وعلى بُعده عن الأثرة والشّح، فهو من قبيل الكلمة الطيبة، والكلمة الطيبة صدقة.

ولا ريب أن هذه المعاني من أعظم ما يرتقي بالمشاعر، ويحفظ للناس أقدارهم، وينأى بهم عن السفاسف والمحقرات.

بل إن كرام الناس إذا مُدحُوا أبَتْ لهم هِمَمُهم أن يكونوا دون ما مُدحُوا به، فمن ذلك ما حُكي من أن هارون الرشيد لما سمع قول الشاعر:

تراه في الأمن في درعِ مُضاعفة
لا يأمَنُ الدهرَ أن يُدعى على عجلِ

فسأل هارون عنه وعمن قيل فيه، فقيل له: لمسلم بن الوليد الشاعر، في قائد الجيوش يزيد بن مزيد الشيباني، وكان يزيد يقول للرشيد:

والله يا أمير المؤمنين، لأحرصنَّ على ألا أكذب شعرائي فيما يمدحونني به، فأمر الرشيد بإحضار يزيد على الحالة التي يُصادف عليها، فأحضروه وعليه ثياب خلوته مُلونة، فلما نظر إليه الرشيد في تلك الحالة قال: أكذبت شاعرك يا يزيد! قال: فيم يا أمير المؤمنين؟ قال في قوله:

تراه في الأمن في درعِ مُضاعفة
لا يأمَنُ الدهرَ أن يُدعى على عجلِ

فقال يزيد: لا والله يا أمير المؤمنين، ما أكذبته، وان الدرع عليَّ ما فارقتني، وكشف ثيابه، وإذا عليه درع مظاهرة. (نوادر في الأدب لمحمد المكي بن الحسين ص٩٤).

بل إن الثناء الصادق مما تنشرح له صدور العظماء، ويشعرهم بصواب ما هم عليه، ويقودهم إلى مزيد من الخير والإحسان، ويسد عليهم باب الكسل الذي يواجههم به المخذِّلون، والمبالغون في النقد.

ولهذا سلكت هداية القرآن الكريم هذا المهيع، فكم هي الآيات التي ورد فيها الثناء من الرب الكريم- جل وعلا- على بعض عباده الصالحين؟ إنها كثيرة جدًا، منها قوله تعالى في الثناء على نوح عليه السلام: «ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا» (الإسراء: ٣).

وقوله تعالى في حق إبراهيم عليه السلام: «إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ» (هود: ٧٥).

وقوله: «إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ۚ ٱجْتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ» (النحل: ١٢١).

وقوله تبارك وتعالى في حق سليمان عليه السلام: «وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَٰنَ ۚ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ» (ص: ٣٠).

وقوله في حق أيوب عليه السلام: «إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا

نِعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ » (ص: ٤٤).

وقوله في حق نبينا محمد صلى الله عليه وسلم: « وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ » (القلم: ٤).

أما السنة النبوية فحافلة في هذا المقام، ولو ألقيتَ نظرة في دواوينها وكتب المناقب منها على وجه الخصوص لرأيت عجبًا، واليك طرفًا من ذلك:

جاء في الصحيحين عن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه قال: كان عليٌّ رضي الله عنه تخلف عن النبي صلى الله عليه وسلم في خيبر، وكان به رمد، فقال: أنا أتخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فخرج عليٌّ فلحق بالنبي صلى الله عليه وسلم، فلما كان مساء الليلة التي فتحها في صباحها، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لأعطينَّ الراية- أو قال ليأخذنَّ- غدًا رجلٌ يحبه الله ورسوله- أو قال: يحب الله ورسوله- يفتح الله عليه).

فإذا نحن بعليّ وما نرجوه، فقالوا: هذا عليٌّ، فأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم، ففتح الله عليه.

وجاء في صحيح البخاري عن عمرو بن تغلب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أُتي بمال أو بسبي فقسمه، فأعطى رجالاً وترك رجالاً، فبلغه أن الذين ترك عتبوا، فحمد الله ثم أثنى عليه ثم قال: (أما بعد، فوالله إني لأعطي الرجل وأدع الرجل، والذي أدع أحب إلي من الذي أعطي، ولكن أعطي أقوامًا لما أرى في قلوبهم من الجزع والهلع، وأَكِلُ أقوامًا إلى ما جعل الله في قلوبهم من الغنى والخير، فيهم عمرو بن تغلب) قال عمرو بن تغلب: فوالله ما أحب أن لي بكلمة رسول الله صلى الله عليه وسلم حمر النعم. (البخاري: ٢٩٧٥، واللفظ له، ومسلم: ٢٤٠٧).

فانظر إلى هذا الثناء، وانظر إلى أثره في عمرو بن تغلب رضي الله عنه حتى استغنى أن يطلب مالاً، فكانت هذه الكلمة أحب إليه من حمر النعم، وهي أنفس ما كانت عند العرب.

وجاء في الصحيحين من حديث سالم بن عبد الله عن أبيه عبد الله رضي الله عنه قال: (كان الرجل في حياة النبي صلى الله عليه وسلم إذا رأى رؤيا قصَّها على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فتمنيتُ أن أرى رؤيا فأقصها على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكنتُ غلاماً شابّاً، وكنتُ أنام في المسجد على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فرأيت في النوم كأن ملكين أخذاني، فذهبا بي إلى النار، فإذا هي مطوية كطي البئر، وإذا لها قرنان، وإذا فيها أناس قد عرفتهم، فجعلتُ أقول: أعوذ بالله من النار، قال: فلقينا ملك آخر، فقال لي لم ترع. فقصصتُها على حفصة، فقصَّتها حفصة على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: (نعم الرجل عبد الله لو كان يصلي من الليل).

فكان عبد الله بعدُ لا ينام من الليل إلا قليلاً. (البخاري: ١١٢١، ١١٢٢، ومسلم: ٢٤٧٩).

وجاء في الصحيحين من حديث أسماء بنت عميس الطويل في الهجرة وما دار بينها وبين عمر بن الخطاب، وفيه: فلما جاء النبي صلى الله عليه وسلم قلتُ: يا نبي الله، إن عمر قال كذا وكذا، قال: (فما قلت له؟) قالت: قلتُ له كذا وكذا. قال: (ليس بأحق بي منكم، وله ولأصحابه هجرة واحدة، ولكم أنتم- أهل السفينة- هجرتان).

قالت: فلقد رأيتُ أبا موسى وأصحاب السفينة يأتونني أرسالاً يسألونني عن هذا الحديث، ما من الدنيا شيء هم به أفرح ولا أعظم في أنفسهم مما قال لهم النبي صلى الله عليه وسلم. قال أبو بردة: قالت أسماء: فلقد رأيتُ أبا موسى وإنه ليستعيدُ هذا الحديث مني. (البخاري: ٤٢٣٠، ٤٢٣١، ومسلم: ٢٥٠٢).

وجاء في الصحيحين عن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: (إني لأعرف أصوات رُفقة الأشعريين بالقرآن حين يدخلون بالليل، وأعرف منازلهم من أصواتهم بالقرآن بالليل وإن كنتُ لم أرَ منازلهم حين نزلوا بالنهار). فهذه أمثلة يسيرة من السُّنَّة، والمقام لا يحتمل الإطالة في ذلك، وإنما هي إشارات يتبين من خلالها أن الثناء الصادق سُنَّة متَّبعة، وأن له آثاره الحميدة.

وللحديث بقية إن شاء الله تعالى.

فقر المشاعر

الأسباب المعينة على الارتقاء بالمشاعر

إعداد د. محمد إبراهيم الحمد

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعدُ:

فقد ذكرنا فيما سبق أن هناك أسبابًا عديدة تُعين على إحياء المشاعر، والارتقاء بها، وتعين في الوقت نفسه على قطع دابر الجفاء، وإزالة علله وأدوائه، ومن ذلك:

استعمال الثناء الصادق المعتدل:

الثناء الصادق المعتدل مما يشعر الإنسان بقيمته، ويهزّه إلى المكارم هزًا؛ فيقوده إلى الصفح، والعفو، وإحسان الظن، والبذل.

كما أنه دليل على كرم سجية المُثْني، وعلى بعده عن الأثرة والشحّ؛ فهو من قبيل الكلمة الطيبة، والكلمة الطيبة صدقة.

كما أن له ارتباطاً بخلق كريم ألا وهو الاعتراف للمحسن، وعدم غمطه حقه.

ولا ريب أن هذه المعاني من أعظم ما يرتقي بالمشاعر، وينهض بالهمم، ويحفظ للناس أقدارهم، وينأى بهم عن السفاسف والمحقرات.

بل إن كرام الناس إذا مُدحوا أبت لهم هممهم أن يكونوا دون ما مدحوا به.

بل إن الثناء الصادق مما تنشرح له صدور العظماء، ويشعرهم بصواب ما هم عليه، ويقودهم إلى مزيد من الخير والإحسان، ويسدّ عليهم باب الكسل الذي يواجههم به المخذلون، والمبالغون في النقد.

ولهذا سلكت هداية القرآن الكريم هذا المسلك؛ فكم هي الآيات التي ورد فيها الثناء من الرب الكريم-جل وعلا- على بعض عباده الصالحين؟

إنها كثيرة جدًا، منها قوله تعالى في الثناء على نوح عليه السلام: ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾. (الإسراء: ١٧).

وقوله تعالى في حق إبراهيم عليه السلام: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ﴾ (هود: ٧٥).

وقوله في حق نبينا محمد-صلى الله عليه وسلم-: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (القلم: ٤).

أما السنة النبوية فحافلة بهذا المقام؛ ولو ألقيت نظرة في دواوينها، وفي كتب المناقب منها على وجه الخصوص لرأيت عجباً، واليك

هذين المثالين فحسب:

جاء في صحيح البخاري عن عمرو بن تغلب أن رسول الله-صلى الله عليه وسلم- أتى بمال، أو بسبي فقسمه، فأعطى رجالاً وترك رجالاً، فبلغه أن الذين تركَ عتبوا؛ فحمد الله، ثم أثنى عليه ثم قال: "أما بعد، فوالله إني لأعطي الرجل، وأدع الرجل، والذي أدع أحب إليّ من الذي أعطي، ولكن أعطي أقواماً لما أرى في قلوبهم من الجزع والهلع، وأكِل أقواماً إلى ما جعل الله في قلوبهم من الغنى والخير، منهم عمرو بن تغلب" فوالله ما أحب أن لي بكلمة رسول الله-صلى الله عليه وسلم- حمر النعم.

فانظر إلى هذا الثناء، وانظر إلى أثره في نفس عمرو بن تغلب-رضي الله عنه- حتى استغنى أن يطلب مالاً؛ فكانت هذه الكلمة أحب إليه من حمر النعم، وهي أَنْفَسُ ما تملكه العرب.

وجاء في الصحيحين من حديث عبدالله بن عمر-رضي الله عنهما- قال: "كان الرجل في حياة النبي-صلى الله عليه وسلم- إذا رأى رؤيا قصها على رسول الله-صلى الله عليه وسلم- فتمنيت أن أرى رؤيا؛ فأقصها على رسول الله-صلى الله عليه وسلم-، وكنت غلاماً شاباً، وكنت أنام في المسجد على عهد رسول الله-صلى الله عليه وسلم- فرأيت في النوم كأن ملكين أخذاني، فذهبا بي إلى النار، فإذا هي مطوية كطي البئر، وإذا لها قرنان، وإذا فيها أناس قد عرفتهم؛ فجعلت أقول: أعوذ بالله من النار، قال: فَلَقِيَنا ملك آخر، فقال لي لم تُرَعْ.

فقصصتها على حفصة، فقصَّتْها حفصة على رسول الله-صلى الله عليه وسلم- فقال: "نعم الرجل عبد الله لو كان يصلي من الليل".

فكان عبد الله بَعْدُ لا ينام من الليل إلاّ قليلاً.

فهذه أمثلة يسيرة من السنة، والمقام لا يحتمل الإطالة في ذلك، وإنما هي إشارات يتبين من خلالها أن الثناء الصادق سنة متبعة، وأن له آثاره الحميدة.

ولهذا تتابع السلف الصالح على هذا الخلق النبيل، فلو نظرنا في سير أكابرهم لرأينا ذلك واضحاً؛ فهذا ابن مسعود-رضي الله عنه- يقول: "كان معاذ بن جبل أمة قانتاً لله حنيفاً، ولم يكن من المشركين" تشبيهاً له بإبراهيم الخليل-عليه السلام-.

فهذا الثناء من ابن مسعود-رضي الله عنه- دليل على إنصافه، وزكاء نفسه؛ فمع أنه من أكابر علماء الصحابة، ومع أنه أسبق إسلاماً وأكبر سناً من معاذ، إلاّ أنه لم يجد في نفسه غضاضة من الثناء عليه، وإنزاله منزلته اللائقة به.

وهكذا كان شأن الصحابة-رضي الله عنهم- وبمثل هذا الخلق النبيل سادوا، وارتفعوا، فكانوا خير أمة أخرجت للناس، وكانوا أكثرهم اتفاقاً ووئاماً، وأقلّهم خلافاً وتفرقاً.

وهكذا درج من جاء بعد الصحابة على هذا المنوال؛ فهذا الإمام أحمد-رحمه الله- يقول: "أتدري مَن الإمامُ؟ الإمام سفيان الثوري، لا يتقدمه أحد في قلبي".

وقال: "قال لي ابن عيينة: لن ترى بعينك مثل سفيان".

وهذا سفيان الثوري-رحمه الله- يقول: "كان إبراهيم بن أدهم يشبه إبراهيم الخليل، ولو كان في الصحابة لكان رجلاً فاضلاً".

ويقول-أيضاً- في ابن المبارك-رحمه الله-: "إني لأشتهي أن أكون من عمري كلّه أن أكون سنة مثل ابن المبارك؛ فما أقدر أن أكون، ولا ثلاثة أيام".

وقال علي بن زيد: حدثني عبدالرحمن بن أبي جميل قال: "كنا حول ابن المبارك بمكة، فقلنا له: يا عالم الشرق حدثنا-وسفيان قريب منا يسمع- فقال: ويْحَكُم! عالم المشرق والمغرب وما بينهما".

فها هم أفاضل السلف يشهد بعضهم لبعض، ويُثني بعضهم على بعض دونما تحرج أو غضاضة؛ فماذا كانت النتيجة؟ لقد رفعهم الله جميعاً؛ وربما كان إعجابنا بالشاهد المادح أعظم من إعجابنا بالمشهود له الممدوح؛ لأن شهادته لقرْنه تدل على ساحة طاهرة، ونفس زكية.

وهذا مما يرقى بالذوق، ويسمو بالهمم، ويرتقي بالمشاعر، ويقضي على روح التشاحن والبغضاء.

قيل لأعرابي: "من أكرم الناس عشرة؟ قال: من إذا قرب منح، وإذا بعد مَدَح، وإن ضَويق فسح،

فمن ظفر به فقد أفلح ونجح".

ومما ينبغي التنبيه عليه مراعاة الفرق بين المديح المنضبط المعتدل الصادق، وبين الإطراء الكاذب الممقوت.

وكذلك ينبغي مراعاة التوازن في المديح؛ لأن من الناس من يزيده المديح إقبالاً وجداً، وفضلاً ونبلاً، ومنهم من يبعث فيه المديح غروراً، وطيشاً، وتيهاً، وعتواً، ونفوراً.

وهذا راجع لحكمة الإنسان، ومعرفته بطبائع النفوس، وربما كان الفصل بينهما رهينَ كلمة مدح مقدرة أو مبالغ فيها.

وبناءً على ما مضى كله؛ فلماذا لا نأخذ بهذه الطريقة الحكيمة النبيلة؟ لماذا لا نأخذ بها إذا وقفنا أمام الناس لتعظيم؛ فنبدأ بالثناء عليهم ثناءً متزناً؛ كي نهيئ نفوسهم لقبول ما نقول؛ إذ لا شيء يهزّ أعطافهم كالثناء عليهم خصوصاً إذا كان من غريب؟

وما الذي يضيرنا إذا رأينا إنساناً محافظاً على الصلاة، أو باراً بوالديه، أو واصلاً لأرحامه، أو متودّداً لجيرانه أن نذكره بعظم هذا العمل، وأن نشكره عليه، ونوصيه بالاستمرار على ذلك؟

وما الذي يمنعنا إذا رأينا من أحد طلابنا جدًّا ونشاطاً وأدباً أن نشعره بالرضا والفرح، والدعاء؟

وما الذي يمنعنا إذا رأينا معلماً مخلصاً في عمله، حريصاً على طلابه أن نَشُدَّ على يده، وأن نشكره على إخلاصه وحرصه؟ بدلاً من تخذيله، وإشعاره بأنه إنسان ساذَج يقوم بأكثر مما طلب منه.

وما الذي يضيرنا إذا رأينا خطيباً مصقعاً يهزّ أعواد المنابر، ويحترم عقول المخاطبين، ويحرص على تحرير خطبه، وإلقائها في أثواب ملائمة أن نشكر له صنيعه، ونشعره باستفادتنا منه، وتقديرنا له؟

وما الذي يضيرنا إذا رأينا أو سمعنا عن طبيب حاذق يتمتع بخلق فاضل، وصبر على مراجعيه، وحرص على سلامتهم وعافيتهم أن نبدي له إعجابنا وشكرنا ودعاءنا؟

وما الذي يلجم أفواهنا أو أقلامنا أن تشكر صحفياً أو كاتباً على حبه للفضيلة، ودفاعه عنها؟

ولماذا لا نزجي الشكر والثناء لمسؤول أصدر قراراً فيه نفع للمسلمين، أو فيه فتح لباب خير، أو إغلاق لباب شرّ؟

ولماذا لا نعتاد تقديم الثناء، والشكر لمن أسدى إلينا معروفاً ولو قَلّ؟

قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: "من صنع إليكم معروفاً فكافئوه فإن لم تجدوا ما تكافؤونه فادعوا له حتى تروا أنكم قد كافأتموه".

وقال -عليه الصلاة والسلام-: "من صُنع إليه معروفٌ، فقال لفاعله: جزاك الله خيراً فقد أبلغ في الثناء".

يقول سفيان الثوري -رحمه الله-: "إني لأريد شرب الماء، فيسبقني الرجل إلى الشربة، فيسقينيها؛ فكأنما دقّ ضلعاً من أضلاعي لا أقدر على مكافأة لفعله".

وقال أبو هاشم الحراني: "من طباع الكريم وسجاياه رعاية اللقاءة الواحدة، وشكر الكلمة الحسنة الطيبة، والمكافأة بجزيل الفائدة".

وبالجملة فباب الثناء والشكر باب واسع لمن أحسن الدخول فيه، ومسلك جميل للتعبير عن المشاعر، والحفاظ على روح الود، والنهوض بالهمم.

وإن الذي يُلحظ في أحوال بعضنا أنه لا يحفل بهذا المسلك الرشيد، مع أنه سهل ميسور، محمود العواقب، كثير العوائد.

بل إننا مستعدون للنقد، والمجادلة، والرد أكثر من استعدادنا للشكر والثناء الصادق، مع أن الثناء الصادق مقتضى العدل، بل والإحسان.

والعاقل لا يعدم خصلةَ خير ينفذ من خلالها إلى قلب من يريد هدايته، أو كسبه، أو تقليل شره، أو زيادة خيره.

بل إن المبادرة بالنقد، والنظر من زاوية الخلل -ابتداءً- قد يكون سبباً لرد الحق، وذريعة للتمادي في الباطل؛ فلو أنك بادرت شخصاً بالنقد والثلب لربما أراك أو أسمعك من سوئه ما لم يكن في حسبانك، ولسان حاله يُنشد: «أنا الغريق فما خوفي من البلل».

وللحديث بقية إن شاء الله تعالى.

الأسباب المعينة على الارتقاء بالمشاعر

إظهار المشاعر، والإعلام بالمحبة

الحلقة الثانية

إعداد د. محمد ابراهيم الحمد

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وآله وصحبه ومن والاه، وبعدُ:

فإن من الأسباب المعينة على الارتقاء بالمشاعر: «إظهار المشاعر والإعلام بالمحبة»، فلا بد لدوام المودة، والقضاء على روح البغضاء من اغتنام الفرصة لإظهار العاطفة المكنونة، فلا يكفي مجرد المحبة القلبية، والشعور المضمر، بل لا بد من إظهار ذلك؛ حتى تتأكد أسباب الصلة، ولأجل أن يكون المرء على ثقة ويقين من مودة أخيه.

ولهذا تظاهرت الأحاديث النبوية في بيان هذا المعنى، والتأكيد عليه. فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: «إذا أحب أحدكم أخاه فليُعْلِمْه أنه يحبّه». (رواه أحمد: ١٧٣٠٣، وأبو داود: ٥١٢٤).

وقال عليه الصلاة والسلام: «إذا أحب أحدكم صاحبه فليأته في منزله، فليخبره أنه يحبه لله عز وجل». (صححه الألباني في الصحيحة: ٧٩٧)رواه أحمد.

وعن أنس رضي الله عنه أن رجلاً كان عند النبي صلى الله عليه وسلم فمر به رجل، فقال: يا رسول الله؛ إني لأحب هذا، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: «أعلمته؟» قال: لا، قال: «أعلِمْه». قال: فلحقه، فقال: إني لأحبك في الله، فقال: أحبك الله الذي أحببتني له. (رواه أبو داود: ٥١٢٥).

ولقد صرح عليه الصلاة والسلام مرارًا كثيرة بمحبته لأناس بأعيانهم؛ فمن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام لمعاذ بن جبل رضي الله عنه: «يا معاذ إني لأحبك، أوصيك يا معاذ لا تدعنَّ في دبر كل صلاة أن تقول: اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك». (رواه أبو داود: ١٥٢٢).

وعقد الإمام البخاري رحمه الله في صحيحه بابًا قال فيه: «باب: قول النبي صلى الله عليه وسلم للأنصار: أنتم أحبّ الناس إليَّ».

ثم ساق الحديث بسنده عن أنس رضي الله عنه قال: رأى النبي صلى الله عليه وسلم النساءَ والصبيانَ مقبلين- قال: حسبت أنه قال من عرس- فقام النبي صلى الله عليه وسلم ممثلاً، فقال: «اللهم أنتم من أحب الناس إليَّ». قالها ثلاث مرار. (البخاري: ٣٧٨٥).

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: جاءت امرأة من الأنصار إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعها صبي لها، فكلمها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «والذي نفسي بيده إنكم أحب الناس إليَّ» مرتين. (البخاري: ٣٧٨٦، ومسلم: ٢٥٠٩).

قال الفضيل بن الربيع: «احلف لأخيك أنك تحبه، واجتهد في تثبيت ذلك عنده؛ فإنه يستجد لك حبًّا، ويزداد لك ودًّا». (الصداقة والصديق ص٤٤).

وقال أبو طائع الطلحي: «كتب الجراحي إليَّ مرة: الله يعلم أنك ما خطرت ببالي في وقت من الأوقات إلا مَثَّل الذكرُ منك لي محاسن تزيدني صبابة إليك، وضنًّا بك، واغتباطًا بإخائك». (الصداقة والصديق ص٤٧).

ويزداد هذا الباعث- أعني إظهار المشاعر والإعلام بالمودة- بين الأصدقاء خصوصًا إذا حصل بينهما غربة وتفرق؛ فإن ذكر أحدهما للآخر، ومكاتبته، وإبداء الشوق له- أدعى لقوة الصلة، وتأكيدها.

اللهم الف بين قلوب المسلمين.